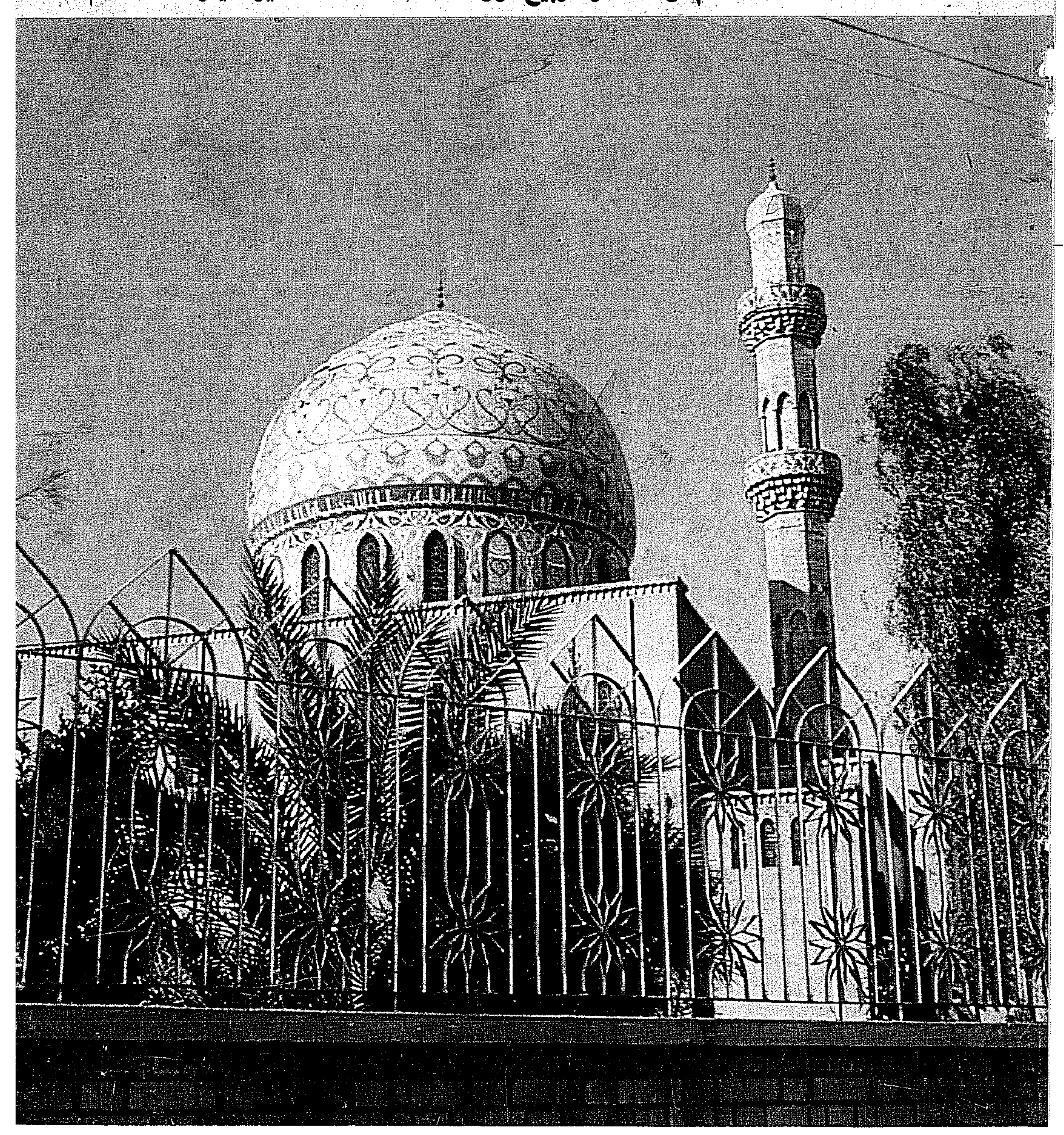
الوعي الإسلامي

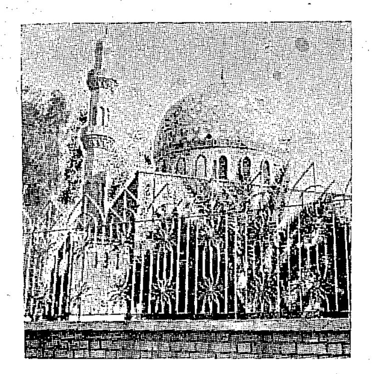
إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة — العدد ٥١ — غرة ربيع أول ١٣٨٩ هـ — ١٧ مايو (أيار) ١٩٦٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



من أفخم المساجد الحديثة فى بغداد ((مسجد الشهيد)) بساحة الجندى المجهول ـ شارع السعدون .

((تصوير : صالح سيد الرفاعى))

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIUL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الحادى والخمسون

غرة ربيع أول ١٣٨٩ هـ

١٧ مايو ((أيار)) ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	فرنك وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

(أما الافراد فيشتركون رأسا)

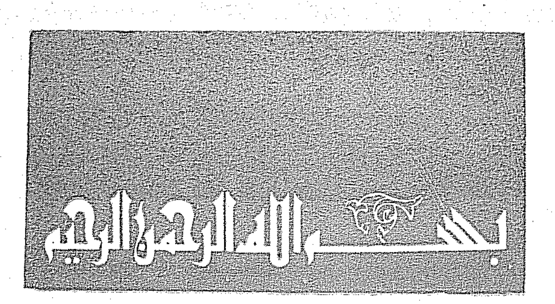
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت





فى ذكرى ميلاد رسولنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، أتلفت حولى فى الأمم التى تنتمى اليه ، وأبحث عن مـــدى وفاء أو ولاء هـــذه الأمم لرسولها وهاديها .. وعما تذكره به فى يوم ميـــلاده . وتطوف بذهنى ذكريات عن احتفال بعض الأمم بقادتها وعيد ميلادهم ، حين يقف قادتها الأحياء التابعون لهم ، فيقدمون كشف حســاب عما أنجزوه من أعمال ، وحققوه من آمال ، ونفذوه من مبادىء وتوجيهات ، كان السابقون يلحون عليها ، ويدعون اليها ، حتى لنرى الدولة تعرض فى تلك الذكرى كل مظـــاهر قوتها الحربية والصناعية والعلمية ، كشاهد حى على مدى ولاء الحاضرين للســـابقين .. وسيرهم على مناهجهم .. وتمسكهم بمبادئهم ..

فماذا يقول قادة المسلمين ــ أتباع محمد ــ وماذا يستطيعون أن يفعلوه ويقدموه فى هذا اليوم والفرق شاسع بين المثالين ؟!

ستضاء المآذن ، وتلقى الخطب ، وتروج تجارة الحلوى ، وتقام حلقات الذكر ، وتلقى أناشيد المولد النبوى ، وربما مظاهر أخرى من هذا الشكل !!

ولكن أهذه كل ذكرانا لنبينا ، وهذا هو كل ما نســـتطيع أن نقدمه فى ذكرى ميلاده ؟

أين مبادئه فى مجتمعنا ؟ أين أخلاقه فى صفوفنا ، أين عزته فى نفوسنا ، أين شـــجاعته فى الميادين أمام أعدائنا ، أين المجتمع الذى دعا اليه ، والعزة التى عمل لها ، والقوة التى كان رائدها ؟

سيقف الخطباء يبحثون عن المجد ، فلا يجدونه الا فى الماضى الذى انقطع سيره ، وعن المجتمع الاسلامى الحقيقى فلا يجدون الا أنقاضه ! وعن العزة فلا يلمسونها الا فى كلمات جوفاء !! وعن القوة فلا يجدونها الا على الأقرباء !!

سيعيشون فى الماضى ، ثم يبكون على الحاضر !!

وربما بكت قلوبهم أكثر لأنهم يخشون أن يذرفوا الدموع علنا !!

سيعيشون مع الكتب والتراث لا مع الواقع الذى يكتب الآن !!

لأن الذى يكتب الآن شىء مختلف عما يقرءون فى التراث العزيز ..

سيجدون الأمة التى تنتسب اليك يا رسول الله ، قد تحولت الى ما يشبه عرائس المولد ، أو عرائس المسرح ، ترقص وتتحرك بخيوط تلعب بهـــا أياد بعيدة غريبة عنها !!

سيجدون ولاءها لغيرك ، وحبها لسواك ، وحرصها على مبادىء تحارب مبادئك !!

سيخطبون فى المساجد ، أو يخطون على الورق ، أو يتكلمون فى مذياع .. حبا لك ، أو أداء لواجب ، أو سترا لموقف .. وينتهى ذلك كله فى لحظات أو ســاعات ، وتظل معاول الهدم تعمل عملها لتقطع البقية الباقية من صلتنا بدينك !!

سيتلفتون حولهم فيجدون أن لب دينك مهمل ، وكل داع الى مبادئك ينظر اليه بعين الارتياب ، ويرمى بالتأخر والجمود !!

بينما يحتفل بالخارجين عليك ، المعـــادين لمبادئك ، الهـدامين لمثلك ودعوتك !!

أناس من أمتك ، ومن المحسوبين فى عدادها ، يســـمعون ويقرءون قولك : (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنة رسوله) فيشيحون بقلوبهم عن هذا ، ولسان حالهم يقول : سمعنا وعصينا !! كان زمان !

يرون الطاعة لك رجعية لا تليق بعصر التقدم !!! وعصـــبية لا تتفق والقرن العشرين !!

وذهبوا يتســـوقون مبادىء ، أو يجمعون حطبا من حقول الغـــير كالمتسولين ، يظنون فى ذلك غناهم ، وهم فرحون بما يجمعون ، وقد تركت لهم ثروة تغنيهم عن هذا ، وحاربت يا رسول الله كل أنواع التسول فى المال ، وفى الأفكار ، ومع الأسف رأينا المتسولين المتســـوقين يتجمعون ويتكتلون ، ليروجوا بضاعتهم ، ويزينوها للناس بالكلام تارة ، والارهاب تارة ، والاغراء تارة ، لينزعوا ما بقى فى النفوس من ولاء لك ، تساندهم قوى وشهوات !!

يسلطون الأقلام المســعورة تنهش فى مبادئك ، وان لم يســـلطوها شجعوها ، وفتحوا لها المجالات ، أو تغاضوا عنها ، لتصك أسماع المسلمين بما يؤذيهم فى نبيهم ودينهم !!

والا فبأى منطق يسمح فى أمة تنتمى للاسلام بمقالات أو كتب تدعو علنا للقضاء على الاسلام ، والتخلص منه نهائيا ، بحجة أن ذلك هو الطريق للقوة والتغلب على اسرائيل !!!

واذا كان هناك شبهة أو ظلها فيما يؤولون من بعض نظريات الاســلام لتتفق مع وجهات نظرهم المجلوبة . فماذا يقولون فى مثل هذا الذى يكرس كتبا

ومحاضرات ، للدعوة الصريحة القوية للقضاء نهائيا على الوجود الاسلامى فى البلاد العربية ؟!!

ولعل القارىء تأخذه الدهشـــة ولا يصدق أننا قد وصلنا الى الحد الذى يسمح فيه بنشر هذا الكلام وتداوله .

واذن فليقرأ معى هذه العبارة التى جاءت فى الصفحات الاولى من كتاب لا أسميه :

« ان على العرب أن يفهموا أن عليهم أن يختاروا بين الغاء الوجود العربى التقليدى ، وبين بقاء الاحتلال الصهيونى ، فيدركوا أن الغاء الأول هو شرط أساسى لالغاء الثانى » .. هكذا !!

إى وربى ، على العرب أن يفهموا ويختاروا واحدة من اثنتين :

إما الغاء الوجود العربى التقليدى واما بقاء الاحتلال الصهيونى !!

ومن يختار بقاء الاحتلال الصهيونى ؟! لا أحد .

فلم يبق لهم — اذن — الا الغاء الوجود العربى التقليدى حتى يقضـــوا على الوجود الاسرائيلى فى البلاد العربية !!

وأى وجود عربى تقليدى يريد الغاءه هذا الدكتور الهدام ؟

كل ما فى الكتاب يدعو بحرارة الى التخلص من الاســـلام لتحل محلـــه مبادىء مستوردة مجلوبة يعتنقها الكاتب وزمرته ، ومن على شاكلتهم ! ..

ولولا هذا ، وما نعرفه من تحركات الكاتب ، وســـوابقه ، ولواحقه فى كتبه ومحاضراته ومقالاته ، لقلنا : انه يدعو للقضاء على بعض ما غشى المبادىء الاسلامية من ركود أو تشويه ، بقصد تجلية هذه المبـــادىء ، للعمل بها فى مجتمعنا الاسلامى .. فيكون من الدعاة الاسلاميين !!

ولكن الكاتب سخر قلمه ولسانه ضد كل شىء اسمه الاســـلام . ومن الذين يقولون ان الدين أفيون الشعوب .. فلا مناص اذن من فهم عبـــارة « الغـــاء الوجود العربى التقليدى » على وجه واحد ، هو الغـــاء الوجود الاسلامى ، الذى عاشت ولا تزال تعيش به البلاد العربية !!

يريد التخلص نهائيا من الاسلام وما يتصل به ، ليخلو الجو لبضاعته التى « تسوقها » من الخارج !!

وبحجة أن ذلك هو الضمان الوحيد للقضاء على اسرائيل !!!

انه يقول فى مكان آخر من الكتاب :

« ان العالم سيجد نجاته ان كان ذلك ممكنا عن طريق المتمردين !. فبدونهم ستلقى حضارتنا وثقافتنا نهاية ، فهؤلاء المتمردون هم ملح الأرض ومسئولـــون عن الله ، لأننى مقتنع بأن الله لم يوجد بعد ، وإن كان علينا أن نخلقه » !!!

ولست الآن فى مجال الرد على مثل هذا الكلام ، فكل مؤمن بدينه يعرف زيفه ، وما عرفت الأمة ضرورة اعتصامها بدينها كما عرفت بعد هزيمتها .

على أن الكاتب الاسلامى الأستاذ جلال كشك قد تكفل بمتابعة هـــذا الكتاب وتعريته تماما وذلك فى كتابه الأخير (النكسة والغزو الفكرى) .

والذى أريد أن أقوله هنا فى ذكرى ميلاد رسولنا ، وبمناسبة بعض الحفلات والكلمات التى تلقى فى هذه المناسبة : أيجوز لأمة أو دولة تنتسب للاسلام أن تسمح بمثل هذا الكلام ؟

أيجوز لدولة تعلن ولاءها للاسلام ورسوله أن تشجع مثل هذه الدعوة التى تهدم كل ولاء وتنقضه من الجذور ؟

لو أنه تناول — بدلا من عبارته تلك — بعض الرسميين وقال : على العرب أن يفهموا أن عليهم أن يختاروا بين وجود هؤلاء وبين بقاء الاحتلال الصهيونى فيدركوا أن الغاء الأول شرط أساسى لالغاء الثانى ..

لو أنه قال هذا الكلام فماذا يكون مصيره ومصير كتبه ؟

هل كانت هذه الكتب على الأقل — ودعنا منه — ترى النور ، وتطبع ، وتوزع ، وتشجع ، كما حدث وهو يدعو للقضاء على الوجود الاسلامى ؟!!

هذا أيضا أمر مفروغ منه، ومعروف الجواب عنه ..

وهو ما يدمى قلوبنا ، ويمزقها أسفا وحسرة على ما صار اليه ولاؤنا للاسلام !! لأن الراعى قد انقلب الى حماية نفسه ، ولم يرع الأمانة التى فى عنقه لدينه وأمته !!

وهذا هو الذى يجعلنا نهيب بالمسئولين عن هذه الأمة ليرعوا أمانتهم ، ونتجه للآباء فى البيوت ، والمربين المخلصين فى المدرسة ، ليحصنوا أولادهم من هذا الوباء الذى يسلطه بعض الناس على أمتهم .

ويجعلنا نتجه للشباب الواعى لنقول له :

ان هناك أصواتا تجد التشجيع من بعض المسلمين — مع الأسف — تدعوك الى أن تتخلى عن وجودك وماضيك وتراثك وأصلك الذى تعتز به ، لتعيش كالأيتام فى مآدب اللئام ، تدعوك لتغير قبلتك ، وتحنى جبهتك لغير ربك ، وتتخذ وليا لك غير نبيك ، وتنزع من نفسك كل اعتزاز بماضيك المجيد ، وأسلافك الأطهار الأبطال ..

فخذ حذرك منهم واعلم أنهم لصوص ونشالون محتالون لا يسرقون مالك ، ولكن يسرقون منك روحك وأصالتك لحساب (المعلمين الكبار) هناك .. فاحذرهم أن يفتنوك أو يخدعوك .

وحصن نفسك بالمعرفة الصحيحة لدينك ، والحرص على الاقتداء برسولك ..

واعلم أن الله قد وضح لك الطريق ، ووضع لك القاعدة ، وهو يقول : (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) .

وأن رسولك لم يكذبك حين قال : (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنة رسوله) .

واذا كان كثير من شباب العالم قد وزعهم ولاؤهم لهذا الزعيم أو ذاك ، وهم يضحون راضين مغتبطين من أجل هذا الولاء ، فانه ليشرفك ، ويعلى من قدرك ، ويثبت من قدمك ، أن يكون ولاؤك لرسول الله ومصطفاه فان (من أطاع الرسول فقد أطاع الله) .

فرسولك قد اختاره الله ورباه ، وكان المثـل الأعلى فى كل ضرب من ضروب الحياة ، ليس فيه شىء من نقص الزعماء ، ولم تتلاعب به شهوة من شهوات الرؤساء ، بل عصمه الله من كل عيب ، وجمله بكل كمال ، ودعانا الى أن نتخذه فى حياتنا قدوة : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

وما كان الله ليدعوك الا الى القدوة بالطهر والكمال ، فى كل فعل ، وفى كل مجال ..

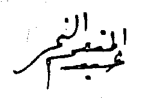
ولقد كان رسولك أشجع الناس ، وأطهرهم ، وأرحمهم ، وأعدلهم .. وما بلغ ـــ ولن يبلغ ـــ أحد مبلغه ولا قاربه . فكيف نتركه ، ونتلمس الهدى ممن أضلهم الله ؟ (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

ان هؤلاء الذين يدعونك الى التخلص من ولائك للاسلام عملاء لقوى تريد استعبادك .

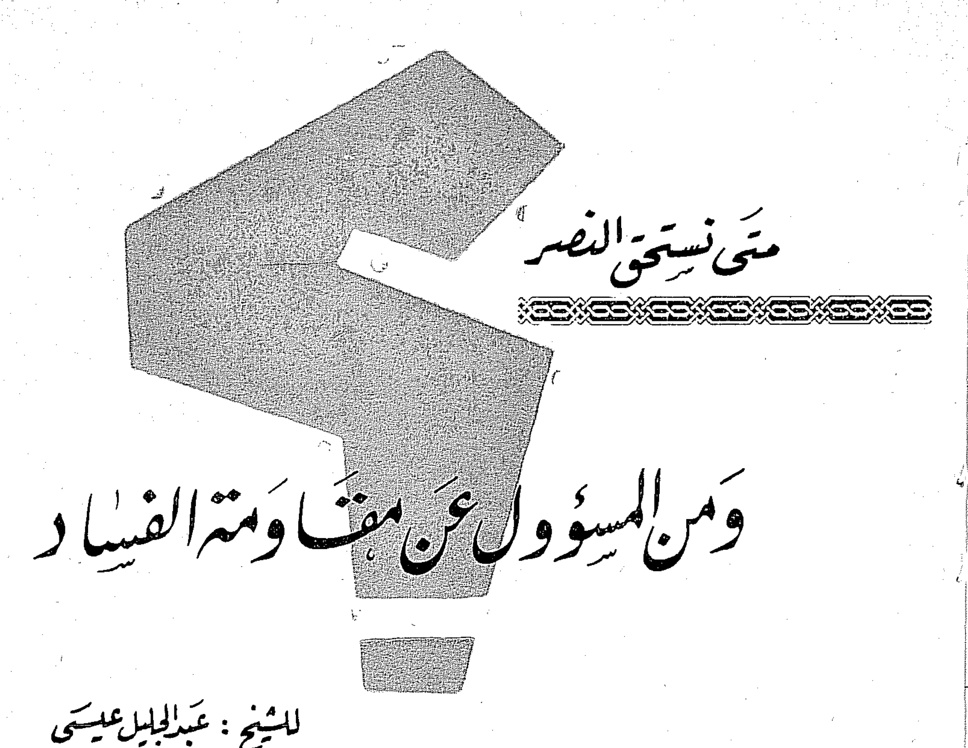
يلبسون مسوح الرحمة ، وينشطون فى أوقات الأزمة ، يزينون لك طرق الخلاص منها بالوقوع فى حبائلهم : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . واذا قيل لهم لا تفسـدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون . الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

واجعل شعارك ـــ أخى المسلم ـــ وردك على هؤلاء المفسدين الخارجين على أمتهم ودينهم قول ربك الحكيم :

« ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار . تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد » .



مدير ادارة الدعوة والارشاد



متى نستحق النصر

ومن المسؤول عن مقاومة الفساد

للشيخ : عبد الجليل عيسى

عميد كليتى اللغة العربية وأصول الدين سابقا
جامعة الأزهر

لمناسبة ما تعرضت له بقعة طاهرة من أرضنا يعز على المسلمين والمسيحيين والعرب أجمعين أن يلوثها بعض شذاذ صهيون ، ممن طاردهم مقت العالم فى كل مكان وجدوا فيه ، نقول : لهذه المناسبة تعرضنا فى هذه المجلة المباركة لشرح أربع آيات من سورة الحج من أول آية ٣٨ الى آخر آية ٤١ ، لأن فيها ما ينبه الغافلين منا الى بعض أسباب هذه النكسة(١) ، وقلنا فى آخر المقال الثالث الذى كان موضوعه بيان الركن الثالث من صفات المؤمنين حقا الذين يستحقون بها نصر الله ، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بعدما بينا بعض شروطه ، قلنا فى آخره (أما مبحث كونه فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، واذا كان ، فهل هو فى كل حال ، أو فى بعض الأحوال دون بعض ، أو هو لا يطلب إلا من طائفة معينة ، أو منه ما هو عام ، ومنه ما هو خاص بالعلماء المتخصصين فى فهم أحكام الشريعة ، ومنه ما هو خاص بإمام المسلمين ومن بيده السلطة التنفيذية ، فموعدنا به العدد القادم ان شاء الله ، وشاء الله أن تطرأ ظروف عوقتنا عن الوفاء بعض الوقت ، وقد انقشعت ، والحمد لله ، فاليوم نقول :

---

(١) وكان ذلك فى : (٣٥) شهر ذى القعدة سنة ١٣٨٧ و (٤٠) شهر ربيع الثانى سنة ١٣٨٨ و (٤٢) شهر جمادى الثانية سنة ١٣٨٨ .

هل هو واجب عام أو خاص

قال بعض العلماء إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل مسلم ومسلمة بدليل ظاهر العموم فى قوله تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) . وعموم قوله تعالى : (**والعصر ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) . والتواصى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعموم قوله تعالى : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) وقوله تعالى فى ذم بنى إسرائيل لما أهملوه : (**لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**) آيتى ٧٨ و ٧٩ من سورة المائدة . وكذلك ظاهر عموم قوله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث الله عليكم عقابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »(١) .

ولمّا ورد على هؤلاء المعممين قوله تعالى : (**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئكهم المفلحون**) آية ١٠٤ من سورة آل عمران . ولفظ (من) فى « منكم » للتبعيض ، أى لتكن طائفة منكم ، لا كلكم ، دفعوه بأن (من هنا للبيان بدليل الآية الثانية الصريحة فى العموم ، وشاهد ذلك فى كلام العرب قول أحدهم للآخر (ليكن لى منك صديق حميم) أى لتكن أنت صديقا حميما .

أما كونه مطلوبا فى كل حال ، أو فى بعض الأحوال دون بعض ، فقد قال بعض العلماء : إن هناك حالات تجيز السكوت ، وتلك اذا كان النهى يؤدى الى مفسدة أعظم ، كأن ينهى عن سرقة مثلا فيؤدى نهيه هذا الى قتل نفس .

يحتاج الى بصيرة

وبعض العلماء فصّل فى المفسدة الأشد بين أن تكون مظنونة الحصول للناهى ، أو لغيره ، فقال إذا كانت ستصيب غيره فالإجماع على أنه يجب عليه الكف عن النهى .

واختلفوا فيما إذا كانت ستصيب الناهى نفسه فقال قوم : إن الحكم فيه كالحكم فى المسألة الأولى ، نظرا لعظم المفسدة المترتبة على النهى .

ومنهم من قال لا يجوز للناهى السكوت على المنكر ولو تحقق حصول الضرر على نفسه ، لأن بذل النفوس فى طاعة الله تعالى مشروع لقوله تعالى : (**وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين**) آية ١٤٦ من سورة آل عمران . فقد مدحهم الله سبحانه ، لأنهم صمدوا مع نبيهم فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وخاضوا معه الحروب لذلك .

---

(١) رواه الترمذى وقال انه حديث حسن .

وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »

ومعلوم أن هذا يعرض نفسه للقتل بمجرد كلمة ، وجعله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد ، ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين أن تكون كلمة الحق هذه متعلقة بأصول الدين ، أو بفروعه ، ولا بين الصغائر والكبائر .

والحق أن هذا مقام وأن أجازه الشارع فهو خاص بطائفة من المؤمنين بلغت ذروة الإيمان .

ونظير ذلك فى الشريعة أنه سبحانه مع عدّه من صفات عباد الرحمن الذين يجزيهم غرف الجنة عدّ منها التوسط فى الإنفاق وعدم الاسراف فقال : **(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)** آية ٦٧ من سورة الفرقان ، ومع ذلك مدح الذين يبذلون مالهم وهم فى أشد الحاجة إليه لمحتاج آخر ، فقال فى مدحهم **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** آية ٩ من سورة الحشر ، والخصاصة هى شدة الحاجة الى ما أنفقوه ، فاذا كان سبحانه مدح هذا الفريق الممتاز من المؤمنين ، فقد أعفى من موقفهم هذا كثيرا غيرهم من المؤمنين أيضا .

وها هو ذا الحديث الصحيح الوارد عن بعض الصحابة ، والتاريخ المتواتر يحدثنا أن بعض الصحابة والتابعين وتابعيهم كانوا يتلافون بالسكوت على المنكر أضرارا كانت ستلحقهم من ولاة علموا عنهم القسوة والجبروت ، فلو لم نقل ان رحمة الله وسعتهم نكون قد طعنّا فى رجال معدودين من أفضل هذه الأمة .

لكن قد يقال ردا على من يرى أن الأمر بالمعروف مطلوب من كل فرد من أفراد الأمة أن هذا غير ممكن ، إذ كيف يتصور أن يقوم العامى وأمثاله بهذا الأمر ، وبعض المعروف والمنكر يخفى على كثير منهم ؟ وربما أوقعهم جهلهم هذا فى فساد خطير ؟!

والحق أن الأمر يحتاج الى تفصيل لا بد من الوقوف عليه .

أمور .. وأمور

وبيان ذلك أن بعض المعروف وبعض المنكر يجب أن يعلمه كل مسلم ، وهو داخل تحت طاقته ، وبعضه قد يخفى عليه ، أو ليس فى طاقة كل فرد .

أما القسم الأول فهو جميع أصول الخير وأصول الشر التى جاءت صريحة فى الكتاب والسنة ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة .

فالمعروف منها كالمحافظة على الصلاة والصيام ، وإغاثة الملهوف ، والإصلاح بين الناس ، وأمثال ذلك .

والمنكر منها كالقتل ظلما ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وشهادة الزور ، والزنا ، والخيانة ، والغش فى الكيل والميزان ، والكذب الذى يؤذى الغير الى غير ذلك مما هو معلوم بالبداهة .

فهذه كلها أمور يستوى فيها العالم والجاهل ، ويعلمها حتى أطفال المسلمين ونساؤهم . فلو قام كل مسلم ومسلمة بواجب الأمر والنهى فى هذه الإمور لتغير حال المسلمين الى أحسن حال ، ولكانوا قدوة حسنة لمن عداهم ، تحملهم على الإسراع فى الدخول فى الإسلام بغير عناء .

وكيف لا تسمو أمة على من عداها ، وكل فرد منها يؤمن بأن ربّه جعله جنديا قائما على حراسة شريعتها ، وقوانينها ، وأخلاقها ، وجعل مكافأته على ذلك ليست موكولة إلى أحد من خلقه ، يكون عرضة للتفريط فيها ، بل ضمن هو سبحانه جزاءه الأوفى فى دنياه بعزة تريح ضميره ، وتطمئن قلبه ، وفى

أخراه بنعيم دائم ، وسعادة لا تخطر على قلب بشر .

وكيف لا يكون هذا جزاء الله لأمة كهذه مسحت من قاموسها كلمة (وأنا مالى) تلك الكلمة المسمومة التى تقتل كل مقومات الأمة اليقظة ؟!!

وكيف لا يكون هذا حال أفرادها ، ودينها لم يدع فضيلة إلا أمر بها ، ورغّب فيها ، ولا رذيلة إلا حذّر منها ، ولذلك وصفه الباحثون بأنه دين الشمول .

ولا عجب ، فهو الدين الوحيد الذى جعل إماطة الأذى عن الطريق جزءا من أجزاء الإيمان ، فقال فى ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

هذا ما كان فى شأن الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، ويستوى فى العلم بها العالم والعامىّ ، ويكون الأمر بها والنهى عنها فى طوقه .

وهناك أمور لا يتولى هذا الواجب فيها إلا طائفتان مخصوصتان ، ضمانا لعدم الخطأ ، وتجنبا للفوضى المدمرة بين أبناء الأمة الواحدة ، وهى :

أولا : الأمور التى يدق فهم الحكم فيها على غير الفقهاء المختصين ، فهذه لا يجوز أن يتعرض للأمر والنهى فيها إلا طائفة الفقهاء .

وثانيا : الحدود والقصاص ، وهذه لا يتولى الفصل فيها إلا الحكام الذين نيط بهم تنفيذ الأحكام فى الحدود والقصاص ، فهم الذين لهم منع المنكر لأن وراءهم قوة الإمام الأكبر وسطوته تجعل لهم سلطانا على النفوس يخشى الناس من أجله مقاومتهم أو الخروج عليهم .

بالحكمة والموعظة الحسنة

وفى هذا كله يجب على القائمين بهذا الأمر الخطير أن يسلكوا طريق الحكمة والموعظة الحسنة التى أمر الله بها ، حتى لا ينفروا الناس ، أو يحملوهم على إلحاق الأذى بهم . وقد ضرب صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة فى هذا السبيل .

من ذلك ما رواه ابن جرير من حديث أمامة أن غلاما شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس بين أصحابه وقال : يا نبى الله ، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح فيه الناس ، وأرادوا أن يتناولوه بالأذى ، فقال صلى الله عليه وسلم : قرّبوه منى ، وصار يقول له : أدن منى ، حتى جلس بين يديه ، فقال له صلى الله عليه وسلم . هل تحب ذلك لأمك ؟ فقال : لا ، جعلنى الله فداك . قال صلى الله عليه وسلم : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم .

ثم قال : أتحبه لابنتك إذا كانت لك ابنة ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم .

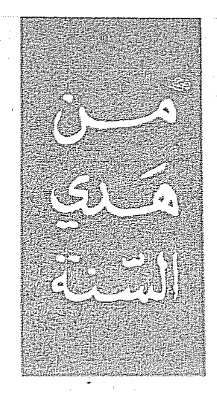
ثم قال : هل تحبه لأختك ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم .

ثم قال : أتحبه لعمتك ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لعماتهم .

ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدر الشاب وقال : اللّهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وأحصن فرجه . قال الغلام : فلم يكن شىء بعد ذلك أبغض إلىّ من الزنا (١) .

---

(١) هذا الحديث رواه أحمد باسناد جيدورجاله رجال الصحيح .



استقبال الوفود

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان وفد عبد القيس لما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال : من القوم ؟ أو من الوفد ؟ قالوا : من ربيعة . قال مرحبا بالقوم أو بالوفد ، غير خزايا ولا ندامى ، فقالوا يا رسول الله : انا لا نستطيع أن نأتيك الا فى الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالايمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس ، ونهاهم عن أربع : الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال المقير . وقال : « احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما ..

١ — فى مثل هذا الشهر المبارك ، شهر ربيع الأول ، ولد سيد الخلق سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من أمره الشريف فى طفولته وشرخ شبابه وكهولته ثم فى شيخوخته ما حفلت به ووعته كتب السيرة المطهرة ، وكتب التاريخ العام وما تناوله بالبحث والدرس علماء الدنيا منذ أن ظهر على مسرح الحياة نبيا ورسولا الى يومنا هذا ، وكان منهم المخلصون الباحثون عن الحقيقة رغبة فى الاقتناع ، وكان من بينهم المغرضون الذين انطووا على الحقد والضغينة لكل ما هو عربى اسلامى يحاولون — غباوة وجهلا — انكار شمس الضحى فى يوم صحو ، أو اخفاء بدر السماء فى ليلة صائفة .. وليس هذا مجال بحثى فى حديث هذا الشهر ، ولا أعدل عنه لأنه غير ذى بال ، وانما أتجه فى هذا الموضوع الى الواقعية البحتة ، والتفاعل بالظروف التى أعيشها الآن بعيدا عن الارض التى نشأ فيها سيدى رسول الله ، فقد كدت أصل الى حقيقة واقعة هى فشل غزو الشعوب حربيا

.. والعمل الجدى يبعد عن ميدان الحروب ليلتقى بعلويات فكرية سـامية ويحمل الأجيال — ولاسيما جيل المسلمين المعاصر — أحمالا ثقالا لا يستطيع الفكاك منها ولا الفرار من تبعاتها حاكم أو محكوم .. وان كانت فى حاجه لعقول واعية فاقهة ذات المام كامل بالعقيدة الصافية الصادرة رأسا من منبعها الطاهر من توجيه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم التوجيه المباشر الذى لم تلونه أقلام ولم تنحرف به أفكار ولم تسيطر عليه أنانية آنية مع حصافة وكياسة وتؤدة وصبر وقوة ارادة وعزم وحكمة حكيمة وجلد تام وتحمل لمتاعب الطريق ووعثائها .. تبعد عن الاسفاف والابتذال .. تقدر للكلمة قيمتها وتتبصر ما تأتى وما تذر .. لا تستعجل الجنى ، وانما تلقى البذور فى الارض الصالحة وتتعهدها بالرى والسقيا فى حذر ويقظة وتنتهج دائما الطريق الذى سار فيه سيدى رسول الله « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .. تتابع وفود الغرب والشرق الى أوطاننا أوطان الاسلام ولا يمكن أن تنقطع لأن أوديتنا مغرية بالاستطلاع .. استطلاع القديم واجتلاء الحديث .. وما مضى طوته الأيام وأصبح ذكريات .. والمنشور هو الحاضر .. والمظهر الحضارى فى بلادنا لا يقل عنه فى أى بلد آخذ بأسباب التطور المعاصرة .. واللباب شىء آخر خواء أو قريبا منه .. فراغ يطلب اعمارا ويحتاج الى امتلاء .. ولن يأتى هذا طفرة فمن الممكن أن تشيد عمارة على نسق يروقك فى أى بقعة من المعمورة ما دمت تجد المال وتستطيع تمويل المشروع .. ولكن هيهات أن يستطيع المال وحده تحويل فكر أو انضاج عقلية .. وانما مع مرور الأيام ذلك يكون .. وتلك سنة الله ولن تجد لسنته تحويلا .. ومن سار على الدرب وصل ..

استمعت منذ أيام الى حديث عائد من بقعة من بقاعنا بعد أن التقى بالعديد هنا من الناشئة ومن هم فى دور المراهقة العلمية .. وجلس هذا الزائر الكريم يعقب على زيارته من وجهة نظر العالم الاجتماعى المؤرخ مبديا أنه التقى بقصور ودور ولم يفز من رحلته الا بلقاء فريد مع شخصية عاقلة معقولة ، أثنى على ذكائها ووعيها النادر فى تلك المنطقة وسعة اطلاعها على مجريات العالم المعاصر والمامها بوقائع الحياة العامة الماما بعيد الغور ، وهى شخصية قيادية فى وطنها ، حقيقة واقعة لا خيال ولا أحلام ، يردد فيلسوف اختصاصه هذا فى كل مجالسه مع تلامذته وخاصة خلصائه .. وهو لا ينسى الآخرين فى ذلك البلد وانما يضعهم فى أول المسيرة الواعية يقول : انهم بدأوا يضعون أقدامهم على أول الدرج ولعلهم — ان ثابروا — واصلون يوما ما .. وانى أخالف الزائر المفضال فى الأرقام فقد لمست عن كثب ورأيت تلك الشخصية مكررة فى المجتمع بصورة تذهل هذا العالم لو أنه التقى بمن بهم التقيت .. وقد ذكرت له هـذا فاندهش وقلت ، ان المسألة مسألة واقع بالنسبة لقولى وليست مجرد دعاية فالاسماء معروفة والمسميات على قيد الحياة ولكنا نطلب المزيد مع التركيز والاختصاص .. ثم أولا .. الاخلاص للحقيقة من حيث هى !!

٢ — زمن الغزو بالسلاح ، أعتقد أنه قد ولى الأدبار ، والمسألة قيد فكر وتدبر ، وقد فطنت لذلك دول انسابت الى أوطان ما كانت تحلم بالوصول اليها ، اقتحمتها عن رضا أصحابها بل فى غيبة عقول أربابها .. بل فى ساعة عاطفية ولحظة ثورة عصبية .. والمسلمون نائمون .. مع أن ما رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما ترسمه الصديق الألد .. فرسول الله عليه

أفضل الصلاة وأزكى السلام يلتقى بالوفود يعلمهم ويملأ فراغ عقولهم ، ويطلب اليهم وعى ما يقول وتبليغه الى من وراءهم فرب مبلغ أوعى من سامع .. وفى هذا الحديث الشريف يبدو الخلق العظيم — الذى شاد به القرآن الكريم — فى بدء اللقاء حين يبتدرهم الحبيب المصطفى .. من القوم ؟! مرحبا بالقوم ! غير خزايا ولا ندامى .. فتتفتح قلوبهم على هذا الأرج العطر ريح النبوة الطاهرة .. وينفضون الى الحبيب جملة حالهم راغبين فى الفوز بالتوجيه الكريم الذى يبديه لهم والذى يرتفع بهم عن مستوى السوائم الى مصاف الانسانية الحقة التى اختارها ربها لعمارة الكون فى عدل .. وتبصر .. ولنجلس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحظات نسعد فيها بالتعرف على الوفد الذى سعد بلقائه ، ناهلين من نبع النبوة الشريفة كأسا صافية لا غول فيها ولا تأثيم تنير لنا حوالك أيامنا وتهدينا الى حاضر ومستقبل قيادى على ضوء هداها وسيرا فى اثرها ..

وفد عبد القيس ..

الوفد الجماعة قلت أو كثرت تختار من القبيلة لتقابل عظيما أو تطالب بحق مفصحة عن رأى من تمثلهم ناطقة بلسان حالهم(١) وعبد القيس هو أبو قبيلة ينتهى نسبها الى ربيعة بن نزار — ويذكر مقيدو حوادث التاريخ فى سبب وفودهم على سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تاجرا منهم كان يرتاد أسواق المدينة المنورة التقى بالمصطفى فأسلم وحمل رسالة مكتوبة منه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام(٢) فلما تلاها على قبيلته استجاب شيوخها وشرح الله صدورهم للاسلام وأجمعوا أمرهم على السير الى المدينة المنورة ، فلما دنوا منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته : « أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق فيهم الأشج ، غير ناكثين ولا مبدلين ، ولا مرتابين » ولما وصلوا الى مجلس الرسول الكريم تقدم الأشج وكان قصيرا دميما ، فسلم على رسول الله ، وقال يا رسول الله : « انما يحتاج الرجل الى اصغريه قلبه ولسانه » !

وكأنه يعتذر عن قماءته ودمامته ، فأجابه سيد الخلق : « ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة ! » فرد الأشج قائلا : « الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله ! » ..

(قالوا : من ربيعة) .. ولم يقولوا من عبد القيس لأن عبد القيس من أولاد ربيعة يعنون أنهم حى من ربيعة(٣) .. (مرحبا بالقوم) أى صادفتم رحبا(٤) أى سعة وهو لفظ تستعمله العرب تأنيسا للقادم الغريب أى لا تستوحش (غير خزايا ولا ندامى) قال شراح الحديث الشريف من العلماء السابقين رحمهم الله : « .. معناه .. انكم لم تتأخروا عن الدخول فى الاسلام ولم

---

(١) فى المصباح المنير : وفد على القوم من باب (تعب) فهو وافد والجمع وفد ووفاد ، مثل صحب وصحاب .

(٢) أملاها الرسول الكريم على من كتبها من صحابته رضى الله عنهم جميعا ، ولم يثبت تاريخيا اسم الكاتب .

(٣) الحى .. اسم لمنزل القبيلة (لغة) لأن بعضهم يحيا ببعض كناية عن التعاون المتبادل .

(٤) فى المختار « الرحب » بضم الراء المهملة السعة ومنه فلان رحب الصدر .. (وبفتح الراء) الواسع .. وقولهم مرحبا وأهلا : أى أتيت سعة وصادفت أهلا (ذوى قرابة) فلا تبتئس ..

تقعوا أسرى حرب ، فلم يصبكم ما تستحون منه أو تذلون بسببه أو تندمون على وقوعه » .. وكانوا لا يستطيعون الوصول الى المدينة المنورة الا فى الأشهر الحرم تفاديا لقتال القبائل الواقعة على طريقهم ولاسيما كفار مضر ، ومعلوم أن العرب كانت توقف القتال فى تلك الأشهر (رجب الفرد ، وذى القعدة وذى الحجة ومحرم) .. (فمرنا بأمر فصل) بسكون الصاد المهملة أى قاطع واضح مبينا بيانا كاملا لا لبس فيه ولا غموض للأمور الواجبة علينا حيال الاسلام حتى لا نقع فى مخالفة تجرنا الى عقاب (نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة) .. فى هذا المقطع من الحديث الشريف شيئان مهمان :

أحدهما أن السفارة قديمة معروفة وأن مبعوث القوم يجب أن يكون أمينا ممثلا صادقا باحثا بكل قوة عما يفيد قومه دون توان أو خجل أو تواكل مؤديا لنيابته عنهم مقدرا لها أمينا شريفا جديرا بالثقة التى وضعت فيه .. كما تعطى أن هؤلاء القوم من ربيعة كانوا حريصين على الاسلام أشد الحرص مؤمنين به أقوى الايمان واثقين بما عند الله آملين فيه .

وثانيهما : ثمرة الايمان التى وضحت فى التصديق الكامل بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد آمنوا بما غاب عنهم وبما لم يقع تحت حواسهم .. آمنوا بالجنة والنار والدار الآخرة .. وتلك علة العلل فى كفر الكافرين المعاصرين فى نهاية القرن العشرين الميلادى .. حمل الأولين على الايمان ثقتهم التى لا حدود لها بالمرسل الكريم .. وحمل الآخرين على الكفر شكهم في كل شىء حتى فى أنفسهم وتصديقهم دائما بما يقع تحت حواسهم ولا زيادة وتلك غيبة فكر وضياع عقل .. وأردد دائما للمنكرين قول الله تبارك وتعالى : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة .. » أمران عجيبان بعيدان عن متناول المعمل والمصنع .. لا جواب .. عند الكافرين الا الهروب من ميدان المعركة العقلية بألفاظ جوفاء لا معنى ولا مدلول لها .. خرافة يسمونها فلسفة ولله فى عقول عباده شئون ..

كما يؤخذ من هذا المقطع من الحديث الشريف كما قال سادتنا السابقون من العلماء العاملين أجزل الله مثوبتهم فى الجنة : « فيه دليل على أن السائل يبدأ بالأهم ثم المهم .. وعلى أن الاعمال الصالحة موصلة الى الجنة اذا قبلت ، وأن قبولها يقع برحمة الله تعالى ولطفه بعباده » .. (وسألوه عن الأشربة) ظاهر القول يعطى سؤالهم عن حلها أو حرمتها شرعا .. وأجاب سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. آمرا اياهم بالايمان بالله وحده ثم فسره لهم بعد توقفهم عن الاجابة عن معناه مفوضين الأمر لله ولرسوله . قال الحبيب المصطفى : الايمان بالله وحده شهادة أن لا اله الا الله .. وهذا يعنى التوجه الكامل الى الله وحده بالعبادة فى حدود ما شرع ، ثم الايمان برسالة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وبدون هذا لا يتم ايمان .. وللصلاة قدر معروف وموضح فى كتاب رب العالمين وهدى سيد المرسلين .. ثم تعرج الوصايا حاثة على ترابط المجتمع وبث روح التعاون فيه بالبذل من المال بذل حق الله تبارك وتعالى فى أموال الموسرين .. وأن ما يغنم فى الحرب يوزع حسب ما ورد فى التنزيل الكريم فى سورة الأنفال ولا رأى مع النص .. ثم الصيام صيام شهر رمضان تهذيبا للنفوس وتمرينا لها على

التجاوب مع الشرع رعاية لحق الله .. ولئن كان بذل المال فريضة حتمية فى كل زمان ، ولئن كان الصوم جهادا بدنيا واجتماعيا .. لهذا البذل وذلك الجهد الزم فى أيامنا هذه ، فقد فتحت أبواب الجنة للراغبين وما أبواب الجنة الا الجهاد .. جهاد الفدائيين المناضلين عن الوطن السليب .. فعلى كل مسلم ومسلمة بذل العون لهم بالنفس والمال ، ولا عذر لمقصر وفى ذلك فليتنافس المتنافسون المؤمنون بالله ، وبحق الأوطان ، بالكرامة الانسانية بالعمل القوى المنتج نصرا وفوزا ..

(ونهاهم عليه الصلاة والسلام ..) أى نهى الوفد عن أشياء يضر فعلها ولا ينفع ، ويضع ولا يرفع ويؤخر ولا يقدم ، وفى الحلال ما يغنى عنها ويزيد .. نهاهم عن الأشربة التى تذهب العقل وتهدم القوى البدنية والروحية .. وتفشى الأسرار .. وتولج فى الجدال والنفار .. وتولد الضغائن .. الى آخر ما هنالك من شرور صحية واجتماعية يعرفها السادة الأطباء والاجتماعيون وطالما نشروا حديثها وأفشوا أمرها .. والنهى الوارد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن : الحنتم والدباء والنقير والمزفت .. يقال له فى بلاغة العرب هو من اطلاق المحل وارادة الحال فيه فالمذكورات فى الحديث الشريف هن الأوانى وليست هى أنواع الشراب(١) وخص هذه الأنواع بالذكر مع وجود غيرها لأن ما ينبذ فيها يسرع اليه التغير والاسكار .

٣ — وأخيرا يجب على المسلمين أن يهيئوا من بينهم من يختارون من الشباب الفاقه لدينه وواقع بلاده لدراسة لغات الغرب دراسة كاملة ، وغشيان تلك المجتمعات وتفهم ما يجرى فيها عن كثب .. ثم يؤدون رسالة الله فى أناة وحلم .. ولقد عانى الناس كثيرا فى هذه الأوطان من المذاهب والآراء حتى عافوها وبدأوا يبحثون عن غيرها .. وما غيرها الا دعوة الحق سبحانه وثمة شىء آخر ذلك هو رعاية الوفود التى تصل الى ديارنا باحثة عن جديد فى أوطاننا .. يهمها أن تعرف أخلاق الشرق ودين الشرق ووحى السماء فى صورة نقية واضحة .. حتى يعودوا الى أوطانهم بأجمل ما عرفوا من التعاليم الالهية السامية .. والناس لا يحترمون الكلام الا اذا كان له واقع عملى ، ومطبق فى المجتمعات التى تتحدث به .. فالقدوة العملية هى كل شىء وعسى أن يعطى مواطنونا فى الديار الاسلامية الصورة الواضحة النقية لتعاليم الاسلام وأخلاقه وأهدافه .. والتعاون الحق لا يكون الا بالاتفاق فى الفكرة والهدف .. ولا ينقصنا الموجهون وانما ينقصنا الذين يفعلون ما يقولون .. وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامثال لكل مجال .. فها هو ذا يستدعى الوفود ويستقبلها فيرشدها ويوجهها ويحملها الدعوة الى أوطانها وأبناء عشيرتها ورب مبلغ (بفتح اللام المشددة) أوعى من سامع .. ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ..

---

(١) الحنتم : قال بعض صحابة الرسول عليه وآله الصلاة والسلام : هى جرار يؤتى بها من مضر .. أى الفخار الأخضر .

والدباء : هو القرع .. وذكر النووى فى شرح صحيح الامام مسلم : اليابس منه .. والمراد أوان تتخذ منه .

والنقير : فى المصباح المنير : خشبة تنقر وينبذ فيه .. وفى مختار الصحاح : أصل خشبة (أى جذع الشجرة) ينقر وينبذ فيه .

المزفت : المطلى بالزفت .

الضرورة الشرعية وضوابطها

للدكتور : وهبه الزحيلي

عميد كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

كثر استعمال كلمة « الضرورات تبيح المحظورات » كسلم لاباحة كثير من المحظورات ، ووسط هذه الموجة يضيع كثير من معالم الحلال والحرام ، ويحتاج الامر لتوضيح هذه الضرورة حتى يتبين الحق من الباطل وفى البحث الآتى وما يتبعه ما ينير لنا السبيل ..

« الوعى الاسلامى »

منذ نصف قرن تقريبا ، ولا سيما فى العشرينات الاخيرة ، اهتم العاملون فى الحقل الاسلامى تدريسا وافتاء وقضاء ببحث تفصيلى لأهم المصادر التبعية لاستنباط الاحكام الشرعية ألا وهى « **الاستحسان والمصالح المرسلة والعرف** » محاولين فى ضوئها عن طريق الاجتهاد والتجديد مسايرة أوضاع المدنية الحديثة ، وموضحين سبيل الاسلام فى مواجهة التيارات الغربية ، والأفكار الدخيلة ، والقوانين والأنظمة التى أعقبها الاستعمار فى بلادنا فى نطاق السياسة والادارة والحكم والتشريع والقضاء والتنفيذ والتطبيق ، وذلك بقصد وبسوء نية على حساب شريعة الاسلام ، التى لم تعرف أقطار المسلمين بديلا عنها ، طيلة القرون ، وعبر الأجيال الماضية والحاضرة القريبة ، لاعتقاد كل مسلم صادق غيور على دينه بأصالة شريعته وخلودها وصلاحيتها فى الواقع لكل زمان ومكان .

غير انه كان من الأجدر والأوثق والأدق علميا ، العناية الواضحة قبل ذاك ببحث المرتكزات التى تعتمد عليها هذه المصادر ، ألا وهى « **الضرورة والمشقة والحاجة** » فهذه هى محور باعث المصلحة والاستحسان والعرف ، وهى التى كانت فى الواقع منطلقات فقهائنا فيما يصدر عنهم من اجتهاد لتلبية مطالب الحياة الجديدة ، وللتمازج مع الظروف والوقائع المتغيرة أو المتطورة ، متخطين بذلك عموم الاحكام الأصلية الكلية فى الشريعة ، ومبينين ما يثمر عنه اجتهادهم من أحكام استثنائية ، متلائمة مع مقتضيات البيئات والاعراف والحاجيات الشخصية والجماعية .

لذا عكفت طويلا على بحث الضرورة ، وحالاتها ، وضوابطها ، مع مقارنتها بأحكام القانون الوضعى ، لكنى أقتصر هنا على بيان

معالم الموضوع فى الشريعة حرصا منى على وضع الامور فى مكانها الطبيعى ، ودحضا لادعاءات بعض المغرضين أو المستهترين بأحكام الاسلام ، متذرعين بعامل الضرورة ، لاباحة المحظور ، وترك الواجب ، ومتسترين تحت ستار العموميات الشرعية المعروفة عن الاسلام بسماحته ويسره وعدالته ، وفى ظل مقاصده العامة وروحه الغالبة عليه .

فلكى يسوغ امرؤ صنيعه وتفريطه فى أداء واجب دينى فى حفل عام أو اجتماع خاص مثلا ، يحتج بالضرورة .

وقد يشرب المسلم المسكر فى حفل أو ضيافة بقصد المجاملة المزعومة .

وقد يستبيح انسان الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لانه فى بيئة تستسيغ ذلك ، أو بسبب بعده عن زوجته اذا كان متزوجا زاعما بأنه مضطر الى الوقوع فى الحرام ، لانتشار الفتنة ، وكثرة الاغراء وقد تسافر امرأة وحدها سفرا بعيدا دون مصاحبة قريب ذى رحم محرم مما يعرضها للريبة والشك والوقوع فى الاخطاء .

وقد يقبل المرء على أماكن اللهو والفجور بحجة الترفيه عن النفس .

وقد يقترض بالفائدة أرباب المصالح التجارية والصناعية والزراعية لأمور يتخيلونها ضرورية . كل هؤلاء وأضرابهم يحتجبون وراء الضرورة المبيحة للمحظور ، علما بأنه ليس كل من ادعى الضرورة أو الحاجة يسلم له ادعاؤه . فللضرورة حد محدود ، وضوابط معينة ، وحالات محصورة ، فاذا لم تتوفر قيود الضرورة بالمعنى الذى أبانه الفقهاء ، ضاعت الحكمة المقصودة من مجىء الشرائع السماوية وأصبح الحرام والحلال قرين الهوى ، وموضع العبث ، وملاذ الفوضى والاضطراب ، قال الحق تبارك وتعالى « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم ، فهم عن ذكرهم معرضون » .

مفهوم الضرورة :

للضرورة تعاريف متقاربة المعنى عند فقهائنا القدامى الذين حاولوا ضبطها ، منها ما ذكره أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن قائلا : الضرورة هى خوف الضرر أو الهلاك على النفس أو بعض الاعضاء بترك الأكل .

ومنها ما بينه ابن جزى فى قوانينه الفقهية فقال : الضرورة هى الخوف على النفس من الهلاك علما أو ظنا ، أو هى خوف الموت ، ولا يشترط أن يصبر حتى يشرف على الموت .

وعرفها الزركشى فقال : هى بلوغه حدا ان لم يتناول الممنوع هلك ، أو قارب كالمضطر للأكل واللبس ، بحيث لو بقى جائعا أو عريانا لمات أو تلف منه عضو .

ولكن الذى يبدو من هذه التعاريف أنها محصورة فى حالة واحدة من حالات الضرورة ، وهى الغذاء . لذا فانى أقترح التعريف التالى المتصف بالشمول وهو أن الضرورة : **هى أن تطرأ على الانسان حالة من الخطر أو المشقة بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو بالعضو أو بالعرض أو بالعقل أو بالمال وتوابعها** ، ويتعين أو يباح له عندئذ ارتكاب الحرام ، أو ترك الواجب ، أو تأخيره عن وقته دفعا للضرر فى غالب ظنه ضمن قيود الشرع .

وبذلك يشمل التعريف حالات ضرورة الغذاء والدواء والعطش والانتفاع بمال الغير ، والمحافظة على مبدأ التوازن العقدى ، والقيام بالفعل تحت تأثير الرهبة أو الاكراه والدفاع عن النفس أو المال ونحوهما ، وترك الواجبات الشرعية ، ونحو ذلك من حالات الاضطرار الملجىء من كل ما يدفع الانسان الى ارتكاب ما يضره تخلصا من ضرر أعظم منه عملا بقاعدة « الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف » « أو يختار أهون الشرين » أو « الضرر يدفع بقدر الامكان » .

الفرق بين الضرورة والمصلحة :

الضرورة هى التى تصل فيها درجة الاحتياج الى أشد المراتب وأشق الحالات ، وأما المصلحة فكما تشمل مرتبة الضروريات تشمل الحاجيات والتحسينات وهى كما قال الرازى فى المحصول « المنفعة التى قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها » .

ضوابط الضرورة :

لا تتوفر حالة الضرورة الا اذا تحققت أوصاف أو شروط محددة وهى ما يأتى :

١ — أن تكون الضرورة قائمة لا منتظرة ، أى أن يحصل فى الواقع خوف الهلاك أو التلف على النفس أو المال بحسب ما يغلب على الظن فى ضوء التجارب السابقة ، أو يتحقق المرء بالاولى من وجود خطر حقيقى على احدى الضروريات أو الكليات الخمس المعروفة التى صانتها جميع الديانات السماوية : وهى النفس والمال والعقل والنسل والدين ، فاذا لم يخف الانسان على شىء من ذلك ، لم يبح له مخالفة الحكم الاصلى العام من تحريم أو ايجاب .

٢ — أن يتعين على المضطر مخالفة الاوامر ، أو النواهى الشرعية ، أو ألا يكون لدفع الضرر وسيلة أخرى الا المخالفة ، وذلك بأن يوجد الشخص مثلا فى مكان لا يجد فيه الا ما يحرم تناوله ، ولم يكن هناك شىء من المباحات يدفع به الضرر عن نفسه ، حتى ولو كان الشىء مملوكا للغير ، فلو وجد طعاما لدى آخر حينئذ فله أن يأخذه بقيمته ، وعلى صاحب الطعام أن يبذله له .

٣ — أن يكون فى حالة وجود المحظور مع غيره من المباحات عذر يبيح الاقدام على الفعل ، أى أن تكون الضرورة ملجئة ، بحيث يخشى تلف النفس أو الاعضاء ، كما لو أكره انسان على أكل الميتة بوعيد يخاف منه تلف نفسه ، أو تلف بعض أعضائه ، مع وجود الطيبات المباحات أمامه .

٤ — ألا يخالف المضطر مبادىء الشريعة الاساسية المقررة من حفظ حقوق الآخرين ، وتحقيق العدل وأداء الامانات ، ودفع الضرر ، والحفاظ على حقيقة مبدأ التدين أو التوحيد ونحوه من أصول العقيدة الاسلامية فلا يحل مثلا الكفر(١) والزنا والقتل والغصب بأى حال لأن هذه مفاسد فى ذاتها .

٥ — ينبغى فى رأى جمهور الفقهاء الاقتصار مما يباح تناوله للضرورة على الحد الأدنى أو القدر اللازم لدفع الضرر ، لأن اباحة الحرام ضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها .

٦ — أن يصف المحرم فى حال ضرورة الدواء طبيب عدل ثقة فى دينه وعلمه وألا يوجد من غير المحرم علاج آخر يقوم مقامه ، حتى يتوفر الظرف الاستثنائى الذى يتعين به ارتكاب المحظور .

٧ — أن يمر فى رأى بعضهم على المضطر للغذاء يوم وليلة دون أن يجد ما يتناوله من المباحات وليس أمامه الا الطعام الحرام للمفهوم من الحديث النبوى وهو « أن يأتى الصبوح والغبوق ولا يجد ما يأكله » أى أن يأتى الصباح والمساء ولا يجد الانسان فيهما الطعام المعتاد المعروف بالصبوح والغبوق .

وقال الامام أحمد : أن الضرورة المبيحة هى التى يخاف التلف بها ان ترك الأكل من الحرام ، ذلك اذا كان المضطر يخشى على نفسه ، سواء أكان من جوع أو يخاف ان ترك الاكل من الميته ونحوها عجز عن المشى ،

---

(١) فى هذا نظر . يرجع الى قوله تعالى « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » وما قيل فى سبب نزولها ، تراجع كتب التفسير فى هذا الموضوع من سورة النحل .

« الوعى الاسلامى »

وانقطـــع عن الرفقة فهلك ، أو يعجز عن الركوب فيهـــلك ، ولا يتقيـــد ذلك بزمن محصور .

٨ — التحقق فى حال الضرورة الجماعية العـــامة من وجود ظلم فاحش ، أو ضرر واضح ، أو حرج شديد ، أو منفعة عامة .

٩ — أن يكون الهدف فى حال فسخ العقد للضرورة هو تحقيق العدالة أو عدم الاخلال بمبدأ التوازن العقدى بين المتعاقدين .

أدلة مشروعية مبدأ الضرورة :

لقد ورد فى القرآن الـــكريم آيات تدل بخصوصها على اقرار مبدأ الاخذ بالضرورة فى الاحوال الاستثنائية وهى خمس آيات وهى قوله تعـــالى : « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فلا اثم عليه .. » (البقرة ١٧٣) « فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفـــور رحيم » (المائدة ٣) « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » (الانعـــام ١٤٥) « فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فان الله غفور رحيم » (النحل ١١٥) « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » (الانعام ١١٩) .

وجاء فى السنة النبوية أحاديث كثيرة ، بعضها خاص بالضرورة ، وبعضها عام شامل للضرورة وغيرها . فمن الاحاديث الخاصـــة بموضوع الضرورة ما رواه أحمد عن جابر ابن سمرة أن أهل بيت كانوا بالحرة — أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود — محتاجين قال : فماتت عندهم ناقة لهم ، أو لغيرهم ، فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكلها قال : « فعصمتهم بقية شتائهم أو سنتهم » .

ومنها ما رواه أصحاب السنة عن سعيد ابن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

ومن الاحاديث العامة التى تشمل الضرورة والحاجة مما يدل على سماحة الاسلام ويسره ما أخرجه أحمد من حديث جابر وأبى امامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بعثت بالحنيفية السمحة » .

ومنها ما رواه أحمد والبيهقى عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وســـلم قال : ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

حكمة الشارع ..

واذا كان الحق تبارك وتعـــالى لا تنفعه طاعة الناس جميعا ، ولا تضره معصـــيتهم وانه لا يستهدف من أحكام الشرع الا تحقيق مصالح الناس ، ودفع الضرر والحرج والمشقة عنهم ، فلا يعقل أن يكون قصد الشـــارع ارهاق المـــكلفين بأحكامه ، أو تكليفهم ما لا تطيقه نفوسهم ، أو مصـــادمة طبائعهم ومصالحهم الذاتية ، أو الحرص على تطبيق الاوامر والنواهى الشرعية فى جميع حالات الانســـان العادية منها وغير العادية أو الاستثنائية .

فتجـــاوب الشرع مع حالات الضرورات والحـــاجيات دليـــل على التزام المنطق التشريعى ، وعون على احترام الشرائع ، وتنفيذ الاحكام ، اذ أن الانســـان خلق من عجل ، ومفطور على حب الذات ، ولا يمكنه فى الغالب الصـــبر على المكاره ، أو تحمل المضايقات ، أو تجشم المشاق ، فكان من العدل والرحمة والمصلحة تشريع طائفة من الاحكام تتناسب مع ظروف الانســـــان غير العادية ، أو أحواله الاضطرارية .

لذا فانه اذا كان الاصل العام المقرر هو تحريم مال الغير الا بطيب نفس منه ، فان حال المجاعة العامة أو الخاصة أو الضرورة تقتضى تجاوز هذا الاصل ، فيباح مال الآخرين حينئذ بقدر دفع الضرورة . روى ابن ماجة

بسنده عن أبى بشر جعفر بن اياس قال : « سمعت عباد بن شرحبيل — رجلا من بنى غبر — قال : أصابنا عام مخمصة ، فأتيت المدينة ، فأتيت حائطا — بستانا — من حيطانها ، فأخذت سنبلا ففركته وأكلته ، وجعلته فى كسائى ، فجاء صاحب الحائط ، فضربنى ، وأخذ ثوبى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال للرجل : ما أطعمته اذ كان جائعا أو ساغبا ، ولا علمته اذ كان جاهلا ؟ فأمره النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد اليه ثوبه ، وأمر له بكيل من الطعام » .

وأخرج أصحاب السنن من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق ؟ فقال : « من أصاب منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة ، فلا شىء عليه » قال أبو عبيد : وانما يوجه هذا الحديث انه رخص فيه للجائع المضطر الذى لا شىء معه يشترى به على ألا يحمل الا ما كان فى بطنه قدر قوته .

لهذا قرر الفقهاء أنه يجوز لمن مر فى طريقه ببستان فيه أشجار مثمرة أن يأكل من فاكتها الرطبة عند الضرورة بشرط الضمان ، أى دفع القيمة ، فان لم يكن هناك ضرورة للاكل لا يجوز له أن يأخذ منه شيئا بغير اذن صاحبه ، كما لا يجوز له أن يحمل معه شيئا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرىء مسلم بغير طيبة نفس منه » « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم .. »

وفصل الامام أحمد فى هذا الامر تفصيلا مستمدا من العرف كما يظهر لنا فقال : اذا لم يكن للبستان حائط ، يأكل الانسان منه ، اذا كان جائعا ، واذا لم يكن جائعا فلا يأكل قال أحمد « وقد فعله غير واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة — والخبنة ما تحمله فى حفنتك — فلا شىء عليه ، ومن أخرج منه شيئا فعليه غرامة مثلية والعقوبة » قال الترمذى هذا حديث حسن .

وقال عليه السلام أيضا « اذا أتيت على حائط أى بستان ، فناد صاحب البستان ثلاثا ، فان أجابك والا فكل من غير أن تفسد » فاذا كان البستان مسورا بجدار ونحوه لم يجز الاكل منه لأنه قد صار شبه الحريم . قال ابن عباس « اذا كان عليها حائط ، فهو حريم ، فلا تأكل وان لم يكن عليها حائط فلا بأس » ووجود الحائط دليل على حرص صاحب الثمار عليها ، وعدم المسامحة فيها .

وروى عن الامام أحمد رواية أخرى : أنه أجاز الاكل من ثمار البساتين غير المحوطة مطلقا سواء أكان المار جائعا أم لا ، وقد قوى هذا الرأى جماعة من الحنابلة . قال فى غاية المنتهى « ومن مر بثمرة بستان لا حائط عليه ولا ناظر فله الاكل ، ولو بلا حاجة مجانا لا صعود شجرة أو رمية بشىء ، ولا يحمل ولا يأكل من مجنى مجموع الا لضرورة وكذا زرع قائم ، وشرب لبن ماشيته ، وألحق جماعة بذلك باقلا وحمصا أخضر من المنفتح ، وهو قوى » .

وأيد الشوكانى فى نيل الاوطار (٨ ص ١٥٥) هذا الرأى ، فللمار أن يأكل كفايته من بستان الغير أو يشرب لبنا من ماشيته ، بعد استئذان الراعى ، أو منااداته ثلاث مرات ، كما يدل عليه ظاهر بعض الاحاديث عن سمرة وأبى سعيد الخدرى . وأما الممنوع فهو الخروج بشىء من ذلك سواء أكان قليلا أو كثيرا .

والحق أنه يعتمد فى ذلك على العرف السائد بين الناس ، وتسامحهم عادة فى تناول الثمار الساقطة المتروكة تحت الشجر .

عموم ضرورة الغذاء :

اذا كان مقتضى تحريم الاشياء لما فيها من ضرر أو أذى أن يكون الحرام عاما لكل مكان وزمان وشخص وحالة ، فان الاخذ بالضرورة ينبغى أن يكون مبدأ عاما أيضا ، فتباح المحرمات عند الاضطرار اليها فى كل الحالات

حضرا أم سفرا ، لأن آيات الضرورة مطلقة غير مقيدة بحال معينة ، وقوله تعالى : « فمن اضطر » لفظ عام فى كل مضطر ، ولأن الاضطرار قد يكون فى الحالات العادية وقت الاقامة ، كأن توجد مجاعة مثلا ، ولأن سبب اباحة المحرمات أيضا وهو الحاجة الى حفظ النفس عن الهلاك ، قد يتحقق فى حالة الاقامة وحال السفر .

ويرى الامام أحمد أن الميتة وما فى حكمها من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة المذكورة فى سورة المائدة رقم (٣) لا تحل لمن يقدر على دفع ضرورته بالسؤال .

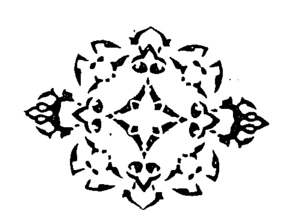
التداوى بالمسكرات :

اختلف الفقهاء فى جواز التداوى بالخمر ونحوها من المسكرات ، فقال أئمة المذاهب الاربعة : يحرم على الراجح الانتفاع بالخمر للمداواة وغيرها ، كاستخدامها فى الطعام والعلف ، لقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » لكن وجدت فى الهدية العلائية للعلامة الشيخ علاء الدين عابدين من الحنفية ما يأتى (يجوز التداوى بالمحرم ان علم يقينا أن فيه شفاء ، ولا يقوم غيره مقامه ، أما بالظن فلا يجوز ، وقول الطبيب لا يحصل به العلم(١) ، ولحم الخنزير لا يرخص التداوى به ، وان تعين ، ويرخص شرب الخمر للعطشان ، وأكل الميتة فى المجاعة ، اذا تحقق الهلاك ، ولا بأس بشرب ما يذهب بالعقل فتقطع الأكلة ونحوه) والآكلة ــ بكسر الكاف : داء فى العضو يأتكل منه .

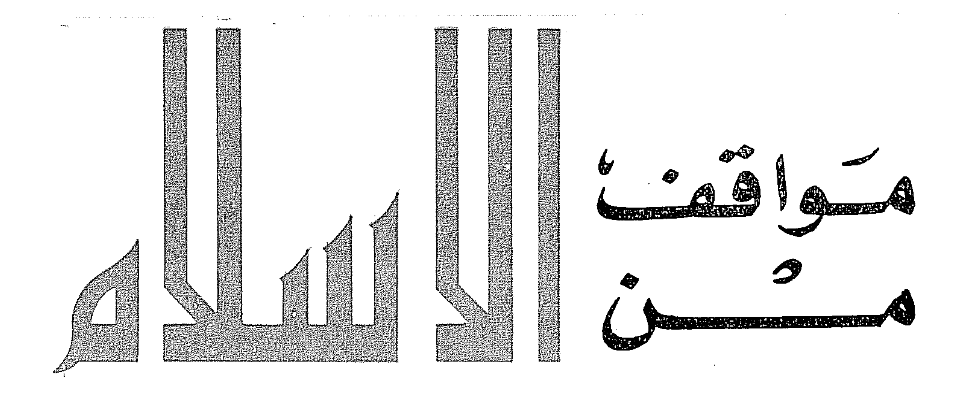
وقال بعض علماء الزيدية فى البحر الزخار ٤ ص ٣٥١ « الاقرب جواز التداوى بالخمر ، حيث خشى المريض التلف ، أو تلف عضو منه ، وقطع بحصول البرء بذلك ، اذ هو حينئذ كمن غص بلقمة ، وان لم يقطع بالشفاء لم يجز ، اذ الخبر يقتضى أن لا شفاء به فيبطل ظن حصول الشفاء .

وقال الشيعة الامامية (الروضة البهية ٢ ص ٢٩٠) يجوز استعمال الخمر للضرورة مطلقا حتى للدواء كالترياق والاكتحال لعموم الآية الدالة على جواز تناول المضطر اليه .

وقال القرطبى المالكى فى تفسيره بعد أن ذكر آراء العلماء فى التداوى بالخمر : ان الاحاديث التى تمنع التداوى بالخمر يحتمل أن تقيد بحالة الاضطرار ، فانه يجوز التداوى بالسم ولا يجوز شربه . وقال ابن العربى فى أحكام القرآن مثل ذلك .



(١) فمن اذن يرجع اليه الحكم فى هذا ؟ ان هذا الكلام محل نظر وفى حاجة الى تمحيص .
« الوعى »



مواقف من الاسلام عند شعراء المشرق المسيحيين

للأستاذ: محمد عبد الغني حسن

في عدد سابق من مجلة « الوعي الاسلامي » تحدثنا عن الاسلام ومواقف منه عند شعراء المهجر ، ووعدنا أن نصل البحث بالحديث عن الاسلام عند شعراء المشرق المسيحيين .

والحق أن هذه الظاهرة الشعرية السمحة لم تقف عند شعراء المهاجر الامريكية الذين دفعتهم ظروف الحياة هناك الى الاشادة بالاسلام وتمجيده ، واحياء ذكرى نبيه عليه السلام فى المناسبات المختلفة ، بل وجدنا لها عند اخواننا المسيحيين من شعراء المشرق اهتماما خاصا ، وعناية بالغة . فما تحل مناسبة اسلامية حتى نرى واحدا أو أكثر من هؤلاء الشعراء يتسابق الى التنويه بها ، والكشف عن محاسنها ، وتهنئة اخوانه المسلمين بها . ثم يبعد فى السماحة فيشيد بالاسلام وقوته ، وسمو مبادئه ، وضوء تعاليمه ، وهدى نبيه ، وعلو مثالياته الرفيعة فى صدق لهجة ، وسماح نفس ، وصحة اعتقاد . لا يجامل فى ذلك ولا يداهن ، ولا يحابى ، ولكنه يصور الحق تصويرا يدل على صدق المعرفة ، والتماس النصفة .

والحق أن عنصر المجاملة بعيد عن هذه المشاركات الطيبة . فان اخواننا شعراء المهاجر الامريكية من أتباع المسيح عليه السلام ليسوا بحاجة الى أن يجاملوا مسلما فى المهجر ، أو يترضوه ، أو يتملقوه ، بل كثيرا ما يكونون فى ولايات أو مدن أمريكية ليس فيها مسلم واحد ، ومع ذلك تراهم أحرص الناس على اشادة بالاسلام ، وتمجيد لنبيه عليه السلام .

وقد امتازت حفنة كريمة من اخواننا شعراء المشرق بالترصد لمناسباتنا الاسلامية والتنبه لها ، وعمل القصائد المختلفات فيها . ومن هذه الحفنة الكريمة الشعراء خليل مطران . وشبلى الملاط . ووديع البستانى مترجم رباعيات الخيام . والدكتور لويس صابونجى الرحالة الكاتب الشاعر العربى الكبير ، الذى ولد فى ديار بكر ، وطاف حول الارض فى أكثر من عامين

ونصف عام ، وأنشأ « مجلة النحلة » التى كانت تصـــدر فى بيروت أولا وفى لندن بعد ذلك ، وأغتيل فى مدينة لوس انجلوس بأمريكا الشمالية سنة ١٩٣١ . والشاعر سابا زريق ــ شاعر الفيحاء ــ الذى أصدر فى طرابلس الشـــام ديوانا ضخما تبلغ صفحاته خمسين وسبعمائة صفحة ، وهو بهذا يدانى فى ضخامة حجمه ديوان الشاعر القروى والشاعر محمد الأسمر من شـــعرائنا المحدثين والمعاصرين . والشاعر حليم دموس الذى ولد فى زحلة بلبنـــان ، وكانت له فى البرازيل جولات ، ثم عاد الى لبنان حيث لاقته منيته سنة ١٩٥٧ . والشاعر ابراهيم زيدان وهو شقيق المؤرخ العالم اللغوى جرجى زيدان ، وقد أنشأ مكتبة الهلال بالقـــاهرة ، وله ديوان من الشعر صدر قبل الثورة بعنوان « ذكريات » . والشـــــاعر عبد الله يوركى حلاق صاحب مجلة « الضاد » الحلبية ومحررها ، وقد صدر له فى أخريات سنة ١٩٦٦ ديوان « حصـــاد الذكريات » ، فـــكان ثانى ديوان له بعد ديوانه الأول « خيوط الغمام » الذى صدر فى سنة ١٩٤٣ .

ويكاد عيد مولد النبى محمد عليه السلام يحتل من دواوين هؤلاء الشعراء مكانا كبيرا ، ومن أقدم القائلين فى هذه المناسبة من شعراء العصر الحديث ، الشاعر الدكتور لويس صابونجى ، فمنذ أكثر من سبعين عاما انطلق صـــوته فى ربيع الأول سنة ١٣٠٨ هـ الموافق أيلول ســــنة ١٨٩٠ م بأبيات فى هذه المناسبة يقول فى مطلعها :

ألى العرب وافى بالرسالة أحمد   وجاء بآيات الـــــكتاب يوحد

ويفطن اخواننا الشعراء المسيحيون الى ما يقع بين أعياد المســـلمين والمسيحيين من لطائف الموافقات ، ويتخذونها دليلا على وحدة الهدف القومى بين أتباع محمد وأتباع عيسى عليهما السلام . ففى شهر ديسمبر سنة ١٩١٩ وقع عيد ميلاد النبى مع ميلاد المسيح ، فانتهزها الشاعر وديع البســـتانى فرصة مواتية يقول فيها :

عيسى وأحمــــــد والورى فلك   قمران نعم الشـــمس والبدر !
هــــذا قران الســــعد بينهما   قد ضم ميـــلاديهما شــــهر ..

ولم يكتف وديع البستانى بهذا فى سنة ١٩١٩ ، ففى سنة ١٩٢٠ وجد العرب متفرقين ، مختلفى المسالك والدروب ، فانتهز فرصة عيد المولد النبوى بفلسطين ليقول :

أبــــكل عام حفلة للمــــــولد   تقضى مراسمها وتنسى فى الغد ؟؟
وتجــــدد الذكرى لمجــــد تالد   والمجــد ثاو ليس بالمتجــــدد ؟
أيامنـــــا تترى تمر ، ومن لنـــا   منها بيوم مثل يوم « محمد » ؟

وتجىء سنة ١٩٢١ م ويحل معها فى ربيع الأول عيد مولد النبى فيجدد الشاعر وديع البستانى دعوته الى الوحدة ، ويشيد بهذه المناســـبة التى ولد فيها موحد العرب قائلا :

نحن النصــــارى الأقربون مودة   لكم وقد صــــدق النبى محــمد
وعلى النبى الهاشمى ســــلامنا   ولـــد النبى ، وكل عـــام يولــد
أخاى قلوب المســــلمين لودنا   وصفا ، وطاب لوارديه المورد ..

وفى سنة ١٩٢٣ نجد لهذا الشاعر « نبوية » رابعة يقول فيها :

أجل! عيسوى،واسألوا الأمس والغدا   ولـــكن عروبى يحب محمــــدا
بلى يا ابن عبد الله : يا سيد الورى   أنا عبـــد عيسى مكرم منك ســيدا
وأنشـــد فى ذكراك شـــعرا يجيئنى   وأمضى، ويبقى الشعر بعدى مخلدا .

ولا تنتهى النبويات أو المولديات عند وديع البستانى الا بالنبوية الخامسة التى نظمها فى سنة ١٩٢٤ م .

ولقد كانت أحداث الوطن العربى الكبير توحى بأمثال هذه القصائد النبوية التى تقتضيها حاجة البلاد الى الوحدة والحب والوئام ، وغيرها من المعانى التى جاء بها الاسلام . ففى سنة ١٩٢٤ أيضا — وفى لبنان لا فى القدس هذه المرة — اجتمع جمهور كبير من المسلمين والمسيحيين أمام الجامع العمرى الكبير ببيروت ، وتبادلوا عواطف الود والوئام ، وألقوا من الكلمات والقصائد ما نشير منه الى قصيدة دالية ألقاها الشاعر الكبير شبلى الملاط ، وقال فيها :

والله ما قال المسيح تباغضوا حتى نكون ، ولا كتاب محمد
لكنما أيدى الجهالة بددت أبناء هذا القطر شر مبدد
فدعوا التعصب انه الداء الذى يقضى عليكم بالهوان السرمدى
وابقوا على هذى العواطف ، وليكن كل من الأعياد عيد المولد !

ولقد استطاع الشاعر « سابا زريق » أن يجلو لنا ميلاد النبى الهاشمى فى لوحة شعرية زاهية تصور فرح الملائك ببشرى الميلاد ، وتصف الفرحة الكبرى فى بيت « عبد الله » حيث أطل الوليد وعلى سيمائه شعاع قدسى ، فاشرأبت جوانب الارض تتطلع الى مولد هذا اليتيم الأمى الذى رفعه الله الى سماء لم تطاولها سماء .. وتجزى أبيات عن هذه القصيدة العصماء حيث يقول :

فاض نور مذهب اللألاء رابيا كالعباب فى الأجواء
وعلت صيحة الملائك أسرا با تهادى مسلسلات الغناء
فى ثنايا سيمائه بسمة البشرى وفى سبحه خفوق الرجاء
وعدت فرحة الملائك سربا موغلا فى مسارح العلياء
فانبرى سائلا فقيل شعاع الحق يهدى ليثرب الزهراء
وقد ازدان بالهدى بيت عبد الله فيها وغاص فى اللألاء
فاذا الحق فى الوليد مطلا والشعاع القدسى فى السيماء
واذا الفجر عن سنا الهدى تفتر مجاليه ، عبقرى الرواء ..
وعلى المهد للنبوة عين ترشق المهد بالسنا والسناء
تتخطى الستور حانية القلب على طاهر الهوى والرداء ..

لا يدع الشاعر هذه الفرصة تمر دون أن ينتهزها لدعوة العرب — جميعا — الى التآلف والحب والولاء ، وهى المعانى التى دعا اليها عيسى من قبل ، فيقول :

زف هذى البشرى محمد بسام الرضى لابن مريم العذراء
قل له : ألفت مرامى كتابينا أناسا تفردوا بالجفاء .. !!

أما الشاعر عبد الله يوركى حلاق فلا ينفك — فى كل فرصة اجتماعية أو قومية — يمجد النبى الهاشمى الذى جلا الظلام عن دنيا العرب ، وبعث الشريعة ، ورعى الحقوق ، ووحد العرب ، وحمى أم اللغات . ففى مهرجان الشعر الثالث الذى أقيم بدمشق سنة ١٩٦١ نسمعه يقول :

قبس من الصحراء شعشع نوره فجلا ظلام الجهل عن دنيانا
ومشى وفى أردانه عبق الهدى وأريج فضل عطر الأكوانا
بث الشريعة من غياهب رمسها فرعى الحقوق وفتح الأذهانا
مرحى لأمى يعلم سفره نبغاء يعرب حكمة وبيانا

ثم يمضى شاعرنا المسيحى يعلل لاجلاله محمدا ومباهاته به بقوله :

أنى مسـيحى أجل محـمدا ... وأراه فى سـفر العلا عنوانا
وأطأطىء الرأس الرفيع لذكر من ... صاغ الحـديث ، وعلم القرآنا
أنى أباهى بالرسـول ، لأنه ... صقل النفوس ، وهذب الوجدانا
ولأنه داس الجهـالة ، وانتضى ... سيف الجهاد ، فحطم الأوثانا ..
ولأنه حفظ العـروبة ، وابتنى ... للعرب مجـدا رافق الأزمانا ..

ولا يكتفى شاعرنا « حلاق » بهذا ، بل يجعل وجهه فى المحراب متجها الى عيسى ومحمد ، ومعلنا أن القرآن هو أسنى الكتب ، وأنه هو الذى صان لغة العرب وحفظها من الضياع ، فيقول :

أنا صب تيمتـنى لغـة ... صانها القـرآن أسنى الـكتب
وجهة المحـراب عندى هيـكل ... فيه عيسى ، والنبى العـربى

ويقول من قصيدة أخرى :

ولى لغة أعلى الكتاب مقـامها ... فسارت مسير النور شرقا ومغربا
بها نزل القـرآن هديا ورحمة ... فرد غليظ الأصـغرين مهذبا ..
وأن كـلام اللـه آيات حكمة ... فمرحى لأمى وعاه ليـكتبا !!

وقد اتجه الشاعر خليل مطران الى « عيد رأس السنة الهجرية » فجعل منه وحيا لبعض قصائده ، مثل قصيدته الدالية الطويلة التى تبلغ ثمانية وسبعين بيتا ، والتى يقول فى مطلعها :

هل الهـلال فحيوا طالع العيد ... حيوا البشـير بتحقيق المواعيد

وقد عرج فيها على رسالة محمد وايذاء أهله له ، واعتزامه الهجرة ، واختبائه بالغار ، وغزواته فى سبيل دين الله ، التى يقول فيها خليل مطران :

وكم غزاة وكم حرب تجشـمها ... حتى يعـود بتمـكين وتأييد
كذا الحياة جهاد ، والجهاد على ... قدر الحياة . ومن فادى بها فودى

وكأنما ألهم عيد الهجرة شاعرنا خليل مطران بوحى دائم ، فرأيناه فى سنة ١٩١٢ م ينشد قصيدة ميمية طويلة أيضا يقول فى مطلعها :

ألا أيهذا الطـالع المبتسـم ... هدى وسرور نورك المتوسـم !

وقد اتخذ من الحوادث الكبار التى أحاطت بالعرب والمسلمين فى ذلك العهد مجالا للعظة والعبرة ..

أما ليلة المعراج ومعها ليلة الاسراء فقد شارك شعراء المشرق المسيحيون بالنظم فيها والتبريك بحلولها ، وبيان فضائلها ، حيث عرج بالنبى الهاشـمى الى السماء ، وأسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ومن شعر الدكتور لويس صابونجى فيها قوله :

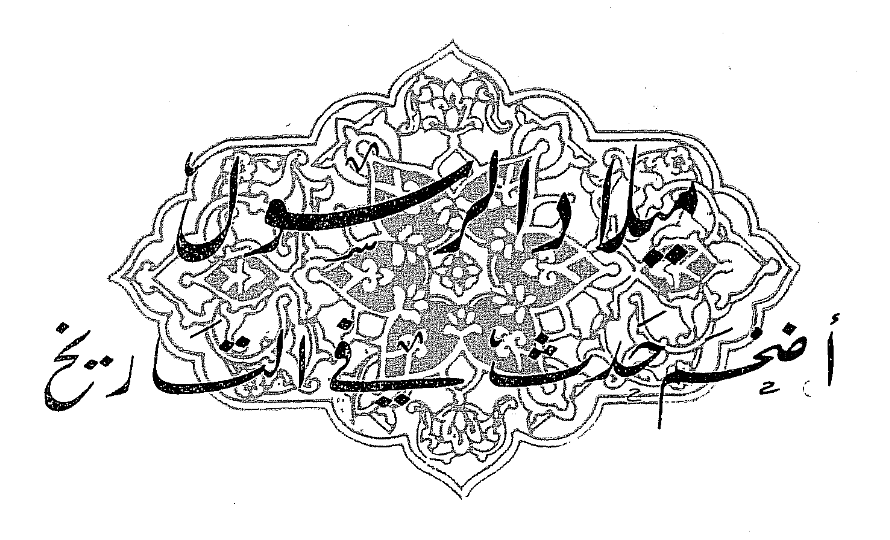
فى الليـلة الغراء عرج أحمد ... وصفوف جند العرش أجمع تنشد
يا جنة الخـلد افتحى بابا له ... وافى محمد فى السـماء يمجد

أما الشاعر وديع البستانى فله فيها قصيدة نونية نظمها سـنة ١٩٣١ يقول فيها :

ليـلة المعراج ما أدراك ما ... ليلة المعراج ! سل عنها الزمانا
ليلـة فيها الى الأرض السـما ... هبطت ترفع أعلى الخلق شانا ..

وللبستانى أيضا قصيدة نظمها بمناسبة دفن الزعيم الهندى مولانا محمد على فى المسجد الأقصى سنة ١٩٣١ م .

أما نواحى العظمة والانسانية عند أعلام المسلمين فقد جلى الشـاعر ابراهيم زيدان ناحية منها فى قصة الخليفة العادل الرحيم عمر بن الخطاب مع العجوز التى كانت تعلل صغارها بالحصى تغليه على الموقد حتى يناموا ، فذهب وحمل لها الدقيق على كتفه وأنضجه على النار ، والدخان يتخلل لحيته .. !



للاستاذ أحمد مسلم ابراهيم

كلما دار الفلك دورته وجرى الزمان جريانه ، أهل علينا شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى عزيزة على النفوس ، حبيبة الى القلوب يحتفل المسلمون بها فى مشارق الأرض ومغاربها ، ذكرى ميلاد رسول الانسانية ومنقذ البشرية ، صاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات ، وأكرم الصفات محمد بن عبد الله الذى بعثه الله ليخلص الانسانية من آلامها ، ويرفع عنها اصرها ويحطم الاغلال التى كانت عليها .

ولهذا فان ميلاده يعتبر — بحق — أعظم حدث فى تاريخ العرب والاسلام ذلك لأن اسمه كان ولم يزل منذ بعثته يطوف الأرض ويدوى برسالة الحق وينشر بين المشرق والمغرب كلمة الله ، ورسالة العدل والخير والسلام ، ويمنح الانسانية نموذجا حيا للانسان الكامل ، والمثل الاعلى للبطولة والخلق الفاضل والتواضع والوفاء . ولا يكون المرء مغاليا اذا ما قال : ان حياته وتاريخه لم يزل أيضا موردا للباحثين فى كل مكان ، خصومه وأحباؤه على السواء ، عرضوا له وبحثوا فكره ، وحللوا مواقفه ، فبهرهم جميعا بطبيعته السمحة قبل رسالة النبوة وبقوة شخصيته قبل دعوة الحق .

ولا غرو فى ذلك فالذين لم يتأثروا به نبيا عرفوه بطلا ، والذين تشككوا فى قرآنه هداهم بتصرفه الى الحق والى الطريق المستقيم . ومن ثم فإنه ينبغى علينا أن نعتز بذكرى مولده العطرة ونفخر بها بقدر ما يسعنا التعبير وان نعرف عن ذلكم الرسول العظيم — الذى هذه صفاته — الكثير والكثير ، ولكن لضيق المقام فى هذا المقال أرانى مضطرا لايجاز ما أفاء الله به على من معلومات فى هذه الذكرى الطيبة .

نشأة الرســـول الكريم

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم يتيما ونشأ فى مكة المكرمة ، فدرج فى دروبها وأوديتها وشعابها وتدرب على أساليب أهلها ومعاملة أبنائها ، ترعرع فى تلك المدينة وعناية الله ترعاه ، ورحمته تغمره فى كل طور وفى كل مرحلة . قال تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهـــدى ، ووجدك عائــــلا فأغنى) . فتمرس على رعى الغنم تمهيدا لرعاية أمة بأسرها ، وسعى لبعض قومه ، واتجر بمـــال زوجه وقد عصـــمه الله من أرجاس الوثنيـــة ، وأوزار الجاهلية لأمر يريده ، فلم يشهد اللهو ، ولم يلعب الميســـر ، ولم يشرب الخمر ولم يأكل الربا ، بل أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تربيته وتعليمه حتى صار هذا اليتيم راعيا للعالم أجمع ، وسيدا للجزيرة العربية ، وفاتحا للأرض ، بل ومعلما للانسانية ، ومنقذا لها من وهدة الشرك والضلال .

الحالة قبل ميلاده

ولو رجعنا قليلا الى ما قبل ميلاد الرسول لوجدنا أن الحياة لم تكن رتيبة ندية ، يتمتع الناس فيها بالهدوء وينشدون فيها الأمن والاستقرار ، ويشعرون بكرامتهم وعزتهم ، بل كانت لا نظم فيها ولا قوانين ترعى حقوق الانسان وتحميه من غبن الطامعين ، وعبث العابثين ، أو تمنع عنه كيد الكائدين والمعتدين ، وكان كل ما فيها الاعتزاز بالقوة والتفاخر بالجاه والانساب والألقاب ، وتلك طبيعـــة النفس البشرية التى لا رادع لها ، فما دام المرء قويا لا زاجر يزجره عن غيه فانه لا يبالى بشىء من حقوق الغير وحرماته .

وفى هذا الجو الخانق المظلم المضطرب كان لا بد وان تخضـــع مقاييس الخير والشر ، ومفاهيم الفضائل والرذائل لرغبات الناس وشهواتهم ، ومعايير الصالح العام تسير وفق ما تتجه اليه ميولهم واهواؤهم ، وقد كان العالم مع هذا التخبط فى الضلال ، والتبسط فى المنكر يسوقه من الشرق الفـــرس على ما هم فيه من انحلال وفساد ، ويقوده من الغرب الـــروم على ما هم عليه من اباحية وفسوق .

كبهيمـــة عميـــاء قـــاد زمامهـــا   أعمى على عـــوج الطريق الاعوج

ولكن الله الرؤوف الرحيم بعباده أبى أن يدوم هـــذا الحال ، ويترك خلقه يضطربون فى أمواج الفوضى يسوم أقوياؤهم ضعفاءهم سوء العذاب ، بـــل اصطفى لهم الرحمة المهداة ليكون مولده ايذانا بانتهاء عهد الظلم والعبودية ، وبشيرا ببدء تاريخ العدل والقضاء على الوثنية ، وهتف من جانب الغيب ليلـــة ميلاده هاتف يقول : ليس بعد اليوم صنم ولا كاهن ولا سيد ، انما العبادة لله ، والقيادة للرسول ، والسيادة للدين .

بعثته ورسالته

ولم تكن رسالة الرسول الكريم ، والمعلم العظيم الذى اختاره الله لرسالته فى سن الأربعين قاصرة على تصحيح العقيدة ، وعبادة اله واحد دون اقتـــلاع أسباب الفوضى ، والقضاء على الفساد الذى استشرى فى كل مكان ، ودون اعلان حقوق الانسان وتكريم الانسانية والسمو بها ، ودون اقامة نظـــام شامل

للحياة يقوم على العدالة والمساواة والانصاف ، بل كانت رسالته للناس عامة ، بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ويكون رحمة للعالمين .

تلك هى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الشاملة الكاملة التى انفتح لها باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح باذن ربهم على أهل الأرض ، وانبعثت منه الشعاعة الاولى من وحى المولى جل وعـلا على قلب محمد الصادق الأمين فنزل بالهدى والخير ، وحمل على الشرك بالتوحيد . ولله در الامام البوصيرى حيث يقول :

فهو الذى تم معناه وصورتـه ... ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسـم
منزه عن شريـك فى محاسنـه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسـم
دع ما ادعته النصارى فى نبيهـم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب الى نوره ماشئت من عظم
فان فضل رسول اللـه ليس لـه ... حد فيعرب عنـه ناطق بفـم
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيـه غير منفحـم
ومبلـغ العلـم فيه انـه بشر ... وانه خير خلق اللـه كلهـم

ولا عجب فى ذلك ، فان شخصيته شخصية هيأتها يد القدر تهيئة تتلاقى مع الحكمة التى هيئت لأجلها ورسالته رسالة باقية خالدة ، تحمل الناس على ألا ينسوا محمدا أو يتناسوه ، بل وتحملهم على تكرار هذا التقدير والتكريم المتوارث جيلا عن جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ما لاقاه من أذى الكفار

وقد احتمل الرسول الكريم فى سبيل الدعوة الى الله ما احتمل ، ولاقى من أذى أئمة الكفر من قريش وعنتهم واستهزائهـم به وأصحابـه ، وتفننهـم فى الخلاص منه أذى بلغ حدا يعجز الوصف عن بيانه ، فلقد تحايلوا على صده عن دعوته بشتى الحيل ، ولم يتركوا بابا الا ولجوه ، فمنهم من لجـأ الى التهديـد والقتل ، كأبى جهل عمرو بن هشام الذى قال ذات يـوم يا معشر قريش (إن محمدا قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسـفيه أحلامكم وسـب آبائكم ، ولأجلسن له غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم) .

ولما جاء الغد هم بتنفيذ ما عزم عليه وقريش فى انديتهم ينتظرون ما هو فاعل ، واحتمل المغرور الحجر ليلقى به على رسول الله وهو ساجد فى صلاته وأقبل نحوه ، حتى اذا دنا منه رجـع منهزما ممتقعـا لونه من الفزع ، ورمى الحجر من يده وفر منزعجا .

فأقبل عليه الرجال وقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال : لما هممت أن أفعل ما قلت لكم عليه بالأمس عرض لى فحل من الابل — والله ما رأيت مثله قط — هم بى أن يأكلنى ..

فلما ذكر ذلك للرسول قال ذاك جبريل ولو دنا لأخذه . وكان كثيرا ما يهدد الرسول ويمنعه من الصلاة لكن الرسول لم يأبه لتهديده ووعيده ونزل فى ذلك

قول الله تعالى : « كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

ومنهم من كان يلقى روث الماشية عليه ، كعقبة بن أبى معيط الذى قال له أبو جهل (ألا رجل يقوم الى فرث جزور فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد ، فقام وألقى ذلك عليه ، ولم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه ، لضعفهم عن مقاومة عدوهم !! وظل عليه الصلاة والسلام ساجدا حتى جاءت فاطمة بنته فأخذت القذر ورمته . ولما قام عليه الصلاة والسلام دعا على من صنع هذا الصنيع القبيح فقال « اللهم عليك بالملأ من قريش وسمى أقواما » قال ابن مسعود رضى الله عنه فرأيتهم قتلوا يوم بدر .

وكان عقبة جارا للرسول : صنع ذات مرة وليمة ، ودعا لها كبراء قريش ، وفيهم رسول الله فقال عليه السلام (والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله ، فتشهد . فبلغ ذلك أبى بن خلف الجمحى وكان صديقا له فقال : ما شىء بلغنى عنك ، قال لا شىء . دخل منزلى رجل شريف ، فأبى أن يأكل طعامى حتى أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له . فقال له أبى على الفور : وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ عنقه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه . فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه فى سورة الفرقان (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا) .

ومنهم من رأى أن يغريه بالمال والجاه والسلطان كعقبة بن ربيعة الذى قال لقريش — وكان سيدا مطاعا فى قومه — ألا أقوم لمحمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا عله يقبل بعضها ، فنعطيه اياها ويكف عنا . فقالوا يا أبا الوليد قم فكلمه . فذهب اليه وهو يصلى فى المسجد ، وقال له يا ابن أخى : انك منا حيث قد علمت ، من خيارنا حسبا ونسبا ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم وانى جئت أعرض عليك أمورا علك تقبل بعضها، فقال له الرسول: قل ياأبا الوليد فانى منصت لك . فقال يا ابن أخى (ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وأن كنت تريد ملكا ملكناك علينا . وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى .

فقال عليه الصلاة والسلام : فقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم : قال : فاسمع منى . فقرأ عليه الصلاة والسلام أول سورة فصلت (بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون .. الى قوله « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) . فأمسك عقبة بفيه وناشده أن يكف عن ذلك .

فلما رجع الى قومه قال لهم . والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط .

« والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة ، ولا بالسحر . يا معشر قريش : أطيعونى فاجعلوها لى . خلوا بين الرجل وبين ما هو فيـــه فاعتزلوه . فواللـــه ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ .

فقالوا له لقد سحرك محمد .

فقال لهم : هذا رأيى . فقالوا : نعرض عليه أن يشـــاركنا فى عبادتنـــا ونشاركه فى عبادته ، فنزل قول الله تعالى (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبـــدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين) .

واستمر الرسول الكريم فى دعوته لا يأبه بتهديد ولا وعيد ، بـــل ازداد اصرارا وتمسكا بعقيدته ، وأخذ يربى المسلمين على آداب الاسلام وتعاليمه ، ويفطم المشركين عن الشر بالحكمة والموعظة الحسنة والقوة ، فيجادل المنكرين بمنطق القرآن الكريم ، ويجاهد المكابرين بمنطق السيف ، وظل كذلك يعانى عنتا ما بعده من عنت ويلاقى قسوة لا مثيل لها من قسوة فى سبيل نشر الدعوة الى الله حتى جاء نصر الله والفتح ، ورأى النـــاس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربه ، وأطمأن على مصير دعوته وشـــعبه ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

بالإقنـــاع لا بالســـيف

وعلى الرغم من أن الناس قد اعتادوا أن يكون السيف سلاحا لهم فيمـــا يخوضون من معارك وما يقومون به من مناوشات الا أن الرسول الكريم تمكـــن من نشر دعوة الاسلام ومبادئه السمحة وتعاليمه الحكيمة التى وجد الناس فيها بغيتهم فى العدالة التى افتقدوها ، وحقوقهم التى تمنوا أن ينالوها ، عن طريق الاقناع والاقتناع ، والحجة القوية والبرهان الواضح ، حتى استطاع أن ينشر دعوته بسرعة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدنيا ، وان تســـتجيب لدعوته أمم وطوائف ما كان العقل يتصور أن تقوم الالفة بينها أبدا . ورفرفت راية الاسلام فى أقل من قرن من الزمان على الأماكن التى رفرفت عليها ، وانهار ملك كسرى وتحطمت دولة الروم ، وتم للاسلام نصره وعزه .

وحتى ذلك اليوم الذى وصلت فيه بعض الدول الى معرفة الـــذرة وغزو الفضاء ، فاننا نجد تعاليم الاسلام صالحة لكل زمان ومكان تدمغ وجوه اؤلئك الذين جحدوا بنعمة الاسلام ، وكفروا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم ، تدمغ وجوههم بالخزى والذلة والعار وتحقق للانسانية المجد والتقـــدم والخير والعزة والسلام .

وما قص علينا التاريخ أن رسولا من الرسل قاتل بالسيف ليلجىء الناس الى الايمان بالله ، بل نعلم أن الله أطلق حرية العقيدة أمام خلقه ، فمن شـــاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ومن أراد أن يعتنق الاسلام دينا له عن رضا وطواعية فليفعل . ومن أبى فلا عليه على أن يعطى الجزية للدولة كما يدفع المســـلمون الزكاة .

وان قتال الرسول الكريم فى حروبه وغزواته ما كان الا ردا لعدوان أو دفعا لطغيان ، ويؤكد لنا ذلك القرآن الكريم بقوله (وقاتلوا فى سبيل الله الذين

يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله : (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

أخلاق الرسول ومعاملاته

واذا كانت قلوبنا تمتلىء غبطة وابتهاجا فى هذه الأيام بذكرى ميلاد النبى الكريم فانها تفيض أيضا بالحب والاعجاب لما أظهره صلوات الله وسلامه عليه من آيات العظمة النفسية فى أول عهده وفى جميع أطوار حياته ، اذ أنه كان مؤمنا ، مدفوعا بأسمى فكرة يستطيع الانسان أن يبشر بها بالحق الذى أوحى اليه به ، شجاعا لا يعرف الخور ولا الخوف ، ولا الوجل ولا الخجل أمام أقوى صرح للخرافات والمعتقدات الباطلة . لم يستسلم أبدا للتهديد والوعيد ، والاستهزاء الذى لقيه من المعارضين لدعوته ، والاقربين له من أهله وعشيرته كما سبق أن رأينا . بل سخر من الشدائد واستهزأ بها وتحدى المشركين فى صميم عقائدهم ، ووقف كالطود الأشم رابط الجأش ، هادىء البال ، لا يبالى بما كانوا يفعلون ، وقال قولته المأثورة لعمه أبى طالب حينما فهم أنه سيتخلى عنه ان استمر فى دعوته (والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه) وظل على عزمه ويقينه وقوة عقيدته ، يوجه كل قوته لهدم الوثنية وعبادة الأصنام والشرك بالله الواحد الأحد حتى كتب الله له النصر المبين على الكافرين .

ومع شدته عليه الصلاة والسلام فى حرب الوثنية والوثنيين كان أوسع الناس حلما وأعظمهم عفوا ، والمثل الأعلى للانسانية فى أخلاقه ومعاملاته ، وان حقيقة دعوته تحمل طلاب الحق المنصفين على استجابته والانضواء تحت رئاسته مختارين لا بقوة ولا بشدة ، لأن الله امتدحه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) ولا غرو فى ذلك فقد روى أنه لما نزل قول الله تبارك وتعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال : يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك) .

وروى أيضا أن عائشة رضى الله عنها قالت (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله) . وقد جاءه رجل يتقاضاه دينا عليه فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال : انكم يا بنى عبد المطلب قوم مطل : فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبى صلى الله عليه وسلم يبتسم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر : تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى . . ثم قال لقد بقى من أجله ثلاث ، وأمر عمر بأن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه) فكان ذلك سبب اسلامه .

أثــر أخلاقه الفاضلــة

وليس هذا كل ما نستطيع أن نقوله فى أخلاق الرسول صلى الله عليه

وسلم ولو دققنا النظر فيما تخلق به الرسول صلى الله عليه وسلم من أخلاق فاضلة ، وما تحلى به من صفات جليلة لرأينا أنه رفع مئات من الناس الذين يتقلبون فى حمأة الرذيلة ، ويعتقدون فى الخرافات ويسفون الى أحط درجات الوثنية ، رفعهم الى الفضيلة ، وحطم قيود العادات التى كانت تكبلهم ، وأطلق أسارهم ورفعهم من عالمهم المنحط الى عالم رفيع ، ونفث فيهم حياة جديدة ، وعلمهم الحق والفضيلة واسداء المعروف ، ونفخ فيهم روح الكرامة الانسانية ، وتقدير المسئولية ، وجعلهم يستمسكون بهذه القواعد الفاضلة ، ولا يفرطون فيها ، مهما لاقوا فى سبيلها ، حتى صار اتباعه سادة العالم وقادته ، علموهم العلم والمدنية ، وأخذوا بيدهم الى جادة الحق والصواب الأمر الذى جعل المستشرق الفرنسى (رينيه جينو) يقول (ان الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الاسلامية ، ذلك لأن الحقائق التى تلقى اليهم مشوهة ، حظها من الصحة قليل ، فالمؤرخون يبالغون كل المبالغة فى الحط من شأن الثقافة الاسلامية .

ومهما يكن من أمر أعداء الاسلام وخصومه والمنكرين لرسالة محمد بن عبد الله فاننا لا نكون مبالغين أبدا حينما نقول ان الانسانية كلها مدينة له برفع شأنها ، وتقدمها ورقيها ، لأنه فتح الآفاق أمامها ووجهها للعلم والكشف والاستزادة من الخير .

ولكن يبدو أن المسلمين اليوم استمرؤا الدنيا ، واطمأنوا لما فيها من مباهج ومفاتن ، وغرتهم الحياة وما يكتنفها من زينة وتفاخر ولعب ولهو ، فأهملوا لذلك مواريثهم ، وغيروا أسلوبهم ، ووضعوا لأنفسهم دستورا غير الدستور الذى هداهم اليه كتابهم ، ولمعاملاتهم قانونا غير القانون الذى شرعه لهم ربهم ، وسار عليه رسولهم ، حتى أصبح الحال فى صفوف المسلمين فى بقاع الأرض — كما نرى — تذهب معه النفس حسرات وليس له الا الله — سبحانه وتعالى — يدرك المسلمين بفضله ورحمته ، ويرعاهم بعنايته ورعايته .

واجب كل مسلم

ونحن نهيب بالمسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يعرفوا أن على كل مسلم الآن أن ينتبه من غفلته ، ويستيقظ من سكرته ، ويقف فى صفوف اخوانه المجاهدين الموحدين يتلقى ما تلقاه أسلافه ويتذوق ما تذوقه آباؤه وأجداده ويتجرد من نزعات الاهواء ، وكوارث المفاسد ، ويتخذ لحياته دستورا ، ولسلوكه قانونا يعتصم به ، ليعصم ذلك المجد من التدهور ، ويصون دولة الاسلام من التفرق ، ويرفع راية الاسلام خفاقة فى العالمين .

وانا اذ نمر بذكرى ميلاد رسول الله . نوقن بأننا فى أشد الحاجة الى أن نترسم خطاه ، ونقتدى بسيرته ونهتدى بهديه ونذكر فى شهر مولده هذا كيف جاهد فى سبيل ربه ، حتى جاء الحق وزهق الباطل وظهر أمر الله وهم كارهون .

نسأل الله أن يأخذ بنواصينا الى سواء السبيل ، وأن يصد الشاردين عن متاهات الطريق ، وأن يعصم قلوب المناضلين فى سبيل الدعوة الاسلامية وعزة العرب والمسلمين بالثبات والايمان وأن يجمعهم على كلمة الهدى والتقوى .

تفسير المنار

بين الامام الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا

الدكتور : أحمد الشرباصي

لا يعرف فى تاريخ الدنيا كلها كتاب وضعت عليه من التفاسير ما وضع على القرآن الكريم ، فالمكتبتان العربية والاسلامية تضمان مئات من التفاسير التى تتناول الحديث عن كتاب الله عز وجل من جهات مختلفة ، وبأساليب متعددة ، وطرق شتى .

ومجلة « المنار » هى أضخم آثار السيد رشيد رضا ، ويأتى بعد هذه المجلة « تفسير المنار » الذى صنعه رشيد وشهر به ، وكان موضع العناية والتقدير من كثير(١) ، ولقد ألقى المستشرق الفرنسى « هنرى لاووست » محاضرات استغرقت أربعة أشهر عن « تفسير المنار » فى « الكوليج دى فرانس » فى باريس ، خلال العام الدراسى ١٩٥٧ — ١٩٥٨(٢) . كما عنى به « جولد تسيهر » فى كتابه « مذاهب التفسير الاسلامى » الذى ترجمه المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ، وعنى به « تشارلز آدمز » فى كتابه « الاسلام والتجديد فى مصر » الذى ترجمه الاستاذ عباس محمود ، وغيرهم . كما كتب الاستاذ عبد الله محمود شحاتة رسالة « ماجستير » عن منهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم ، كما تعرضت لهذا التفسير فى مواطن من كتابى « قصة التفسير »(٣) ، وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان « تفسير المنار » أكثر من مرة فى كتابه الذى جمع فيه رسائل رشيد رضا اليه ، وكتب الدكتور ابراهيم أحمد العدوى صفحات عن هذا التفسير فى كتابه عن رشيد رضا .. الخ .

ولقد نشر رشيد « تفسير المنار » فصولا ومقالات فى مجلة « المنار » ، ثم عاد فطبع هذا التفسير فى اثنى عشر جزءا ، وصل فيها الى أواخر سورة يوسف ، ويقص علينا رشيد فى

---

(١) يقول الاستاذ يوسف أسعد داغر عن تفسير المنار : « وتفسيره هذا هو أعظم آثاره وأنفسها ، ولعله خير تفسير طبع على الاطلاق » . (مصادر الدراسة الأدبية ، ج ٢ ص ٣٩٦) .

(٢) جمال الدين القاسمى وعصره ، ص ٤٤٣ .

(٣) أنظر من كتاب « قصة التفسير » ص ١٥٦ و ١٥٧ .

فاتحة الجزء الأول المقدمات التى مهدت لاصدار التفسير ، فيذكر لنا أنه كان فى طرابلس الشام ، وكان فى أثناء طلبه العلم ، مشتغلا بالعبادة ، ميالا الى التصوف ، وكان يعظ قومه بالقرآن الكريم ، ثم ظفر بالأعداد التى صدرت من جريدة ((العروة الوثقى)) فأثرت فيه ، وأعجب بمنهجها القائم على ثلاثة أمور هى : بيان سنن الله تعالى فى الخلق ، وأن الاسلام دين سيادة وسلطان ، وأن المسلمين لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا لغة ولا حكومة .

وأعجب رشيد بصاحبى العروة : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وحاول الاتصال بأولهما ، ولكنه لم يلقه ، فحاول الاتصال بثانيهما ، فتم له ما أراد ، وفى رجب سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م تهيأت له فرصة الهجرة الى مصر ، وارتبط بالشيخ محمد عبده ، واقترح عليه — قبل صدور مجلة المنار — أن يكتب تفسيرا ، أو يلقى درسا فى التفسير ، ولكن الشيخ تأنى ، ثم أصدر رشيد مجلة ((المنار)) للدعوة الى الاصلاح ، واقترح على الشيخ مرة ثانية أن يفسر القرآن الكريم ، فتأنى الشيخ مرة ثانية ، فاقترح عليه رشيد أن يقرأ درسا فى التفسير فى الجامع الأزهر الشريف ، وكان هذا الاقتراح فى شعبان سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م ، ثم كرر رشيد الاقتراح فى رمضان من السنة نفسها ، ولكن الشيخ عاد الى تأنيه .

ثم دارت بينهما مناقشة انتهت باقناع الشيخ بأن يبدأ فى الدرس ، فبدأه فى غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م ، بعد أن كان رشيد قد حمل هذه البشرى الى الناس قبل ذلك بأيام ، عن طريق جريدة ((المؤيد)) ، حيث كتب فيها مقالا عن ((القرآن)) ضمنه هذا النبأ .

واستمر الشيخ فى تفسيره حتى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م ، حيث بلغ قول الله تعالى : ((ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شىء محيطا)) من الآية رقم ١٢٥ من سورة النساء(١) ، وعاود رشيد خلال ذلك اقتراحه على الاستاذ الامام أن يؤلف تفسيرا على الوجه الذى يلقيه ، فانه مبين لأمراض الأمم الروحية والاجتماعية ، ومرشد الى علاجها ، لأن القرآن فيه تبيان كل شىء ، وشارك رشيدا فى هذا الاقتراح كثيرون ممن يحضرون دروس التفسير ، ويقال ان الاستاذ الامام رد على رشيد بقوله : ان الكلمة المسموعة أقوى تأثيرا من الكلمة المكتوبة(٢) .

وينبغى أن نشير هنا الى أنه حدث فى سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م أن كانت تعقد جلسات تفسير فى قصر القبة ، وندب لالقائها الشيخ أحمد الرفاعى ، فظل أياما يتابع دروسه ، ويقول المؤرخ أحمد شفيق باشا انه كان كثير الاسهاب فى ايراد أقوال المفسرين ، وايراد بعض الآراء والروايات المغربية ، وفى ذات يوم تحدث عن ((ارم ذات العماد)) ، فذكر أنها ((مدينة شيدت طوبة من الذهب وأخرى من الفضة ، وأنها معلقة بين السماء والأرض ، ثم توسع فى ذلك ، وعرض الى علم الفلك بأسلوب يثير الاشفاق والضحك)) .. وقد جاءوا بالشيخ الشربينى(٣) .

ومن هنا سنعرف مدى الفرق الشاسع بين طريقة التفسير فى عصر الشيخ محمد عبده — وهو عصر رشيد رضا — والطريقة التى سار عليها تفسير المنار ، فقد كان تفسير المنار يهدف الى العناية بتجلية هداية القرآن للناس ، وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير ، والتوجيه والاصلاح ، مع مراعاة مقتضى العصر من سهولة التعبير ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

---

(١) أنظر تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤٤١ الطبعة الثانية .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٠ — ١٦ . والمنار المجلد ٣ ص ٦٧ والمجلد ٨ ص ٨٩٧ وكتاب دروس من القرآن الكريم ، ص ٨ .

(٣) مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ص ٢٨ لأحمد شفيق .

طريقة النقل عن الاستاذ الامام :

وقد أخذ رشيد يكتب تفسير الاستاذ الامام وينشره فى مجلته ابتداء من الجزء السادس من المجلد الثالث من المنار (٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠) ١٣١٨ هـ ، ونشر أولا مقدمة للتفسير ، وهى ما ألقاه الشيخ وأملاه فى الدرس الأول فى ليلة الخميس غرة المحرم الحرام سنة ١٣١٧(١) هـ ١٨٩٩ م .

يقول رشيد فى تصوير طريقته فى النقل عن الاستاذ الامام : « كنت فى البداية لا أكاد أزيد على خلاصة ما يقرر فى الدرس الا قليلا ، اذ لم يكن فى نيتى تجريد ما يكتب منه فى المنار ، وجعله كتابا مستقلا ، ثم رأيت من الواجب بسط القول وطبع التفسير على حدته ، عند سنوح الفرصة ، ففعلت باجازته رحمه الله تعالى واستحسانه ، فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة ، عرضته عليه بعد ذلك فقرأه ، وزاد فيه ما رأى حاجة الى زيادته ، ومنه ايضاح الكلام فى الملائكة ، وأجاز باقى ما كتبناه كما هو ، فكأنه هو الذى كتبه(٢) » .

ولقد عاد رشيد الى اخبارنا بأنه كان يلخص ما فهمه من الاستاذ الامام ، ويضيف اليه ما يلخصه من الكتب ، ثم يزيد ما يشاء ، فيقول مثلا : « ان ما أوردناه أولا فى تفسير الفاتحة : من تلخيص لما فهمنا من دروس شيخنا ، ومما قرأناه فى الكتب ، ثم زدنا عليه فى أصله ، وفى هذه الفوائد الزوائد ، فالغرض منه التفقه فى معانى القرآن والاهتداء به(٣) » .

ثم ذكر رشيد أنه عرض التفسير على الاستاذ الامام فكان يزيد بعض عباراته ، وقد وضعها رشيد بين قوسين معقوفين هكذا [ ] ونبه على ذلك(٤) .

وفى مواطن من تفسير المنار نفهم أن رشيدا ينقل عبارة الاستاذ الامام مع توسع فيها ، ولذلك يقول أحيانا بعد أن يورد كلام الاستاذ الامام : « أ هـ بتفصيل وايضاح(٥) » .

وكان رشيد أحيانا ينقل كلام الشيخ محمد عبده ، ويمزجه بكلام غيره من القدماء ، ومن أمثلة ذلك أنه عند تفسيره اسمى « الرحمن الرحيم » ذكر كلام ابن القيم ضمن كلام الشيخ محمد عبده فى هذا التفسير ، وقال : « وبهذا التفسير ضممنا فى التفرقة بين الاسمين ما قاله المحقق ابن القيم الى ما قاله شيخنا رحمهما الله(٦) » .

وفى بعض الأحيان ينتقل رشيد من كلام الاستاذ الامام الى كلامه بقوله : « وأزيد هنا .. » أو قوله : « وأزيد فى ايضاح كلام الاستاذ .. »(٧) .

ومن هنا نرى أن رشيدا لم يتبع طريقة واحدة فى النقل عن الاستاذ الامام ، بل اضطرب بين جملة طرق ، فهو أحيانا يلخص ، وقد يفصل ويوضح ، وقد يعلق ويوثق ، وقد يزيد ويضيف ، وقد يستدرك ويعقب ، وقد ينقد ويعارض .

وهو قد تنقل بين الطرق كل هذا التنقل دون علامات مميزة واضحة بين كلامه وكلام الاستاذ

---

(١) المنار ، المجلد ٣ ص ١٣٠ .
(٢) المنار ، المجلد ٨ ص ٨٩٩ .
(٣) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٠١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٧٥ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٦٨ و ٦٩ .

الامام وكلام غيرهما ، ومن هنا ضاع بعض المعالم من تفسير الاستاذ الامام ، وأصبح من العسير تجريده . ولو أن رشيدا حافظ على تمييز كلام الاستاذ الامام ، لأمكننا أن نستخلص هذا الكلام ، ونجعله تفسيرا مستقلا ، يصور تصويرا كاملا جهد الشيخ محمد عبده وطريقته فى التفسير ، ومن وراء ذلك نستطيع أن نقارن بينه وبين من سبقوه من المفسرين ، وبينه وبين السيد رشيد رضا فى التفسير .

على أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ومن فضل الله أن الاستاذ الامام كتب تفسير « جزء عم » بنفسه ، كتب بيده تفسير سورة العصر ، بعد أن ألقاه محاضرة أو درسا على علماء مدينة الجزائر ووجهائها سنة ١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م ، وهو فيما يقرب من ثلاثين صفحة ، وقد نشره رشيد فى كتاب عنوانه : « تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن(١) » .

وكتب الاستاذ الامام بنفسه تفسير قوله تعالى : فى سورة البقرة « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .. » الآية ، وقد كتبها فى سبع وعشرين صفحة(٢) .

وكذلك كتب الاستاذ الامام بنفسه كلاما فى تفسير قوله تعالى : « وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك .. » الآية ، وقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » الآية(٣) .

وكتب بنفسه تفسيرا للآيتين الثانية والخمسين والثالثة والخمسين من سورة الحج ، اللتين تبدآن بقوله تعالى : « وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته .. (٤) » .

ولقد تعرضت فى كتابى « قصة التفسير » لرأى الاستاذ الامام فى المرتبة العليا للتفسير ، وذكرت أنه يرى تمام هذه المرتبة بأمور . منها : فهم حقائق الألفاظ القرآنية والمراد منها ، وفهم الاسلوب والتفطن لنكته ومحاسنه ، وعلم أحوال البشر ، والعلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن ، والعلم بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم(٥) .

ويمكن تركيز طريقة الاستاذ الامام فى التفسير فيما يلى :

١ — الاستئناس بما ورد فى الآية من أثر أو سبب نزول .

٢ — ما تؤديه الألفاظ من معانيها ، اذ الألفاظ مفاتيح المعانى .

٣ — التعمق فى فهم هذه المعانى واستنباط الأسرار منها ، واستخدام العقل فى هذا التعمق .

٤ — تفسير القرآن بالقرآن كلما أمكن ذلك .

٥ — السورة وحدة متماسكة ، والقرآن وحدة كبرى متماسكة .

* ... * ... *

انفراد رشيد بالتفسير :

وحينما أتم رشيد نشر ما نقله عن الاستاذ الامام من التفسير على الوجه السابق ، أحس — وقد لحق الاستاذ الامام بربه منذ حين — أن عليه وحده التبعة فى تأليف تفسير مستقل ،

(١) أنظر ٨٧ — ١١٤ .

(٢) المنار ، المجلد ٨ ص ٤١ عدد ٢٢ مارس ١٩٠٥ م .

(٣) المنار ، المجلد ٣ ص ١٧٥ . وتفسير سورة الفاتحة ، ص ١٥٨ — ١٦٤ .

(٤) المنار ، المجلد ٤ ص ٨١ — ٩٩ . وتفسير سورة الفاتحة ، ص ١٦٥ — ٢٠٢ .

(٥) قصة التفسير ، ص ١١٢ .

فمضى فى ذلك من حيث انتهى الاستاذ الامام ، مستعينا بمنهجه وطريقته ، ولم يقتصر على نشره فى المنار ، بل أخذ يطبعه مستقلا فى أجزاء .

ومن الطريف هنا أن « مولاى محمد انشاء الله » صاحب جريدة « وطن » الهندية أرسل الى رشيد سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ يعرض عليه أن يترك جميع الاعمال ، ويعكف على اتمام تفسير المنار ، وهو يرتب لرشيد مساعدة مالية شهرية حتى يتم التفسير ، ولكن رشيدا كما يذكر لنا رفض ، لأنه لا يقبل على خدمة الدين مالا من أحد ، فأرسل صاحب جريدة « وطن » الى رشيد قيمة الاشتراك فى مئة نسخة من كل جزء من أجزاء التفسير ، على أن تجلد وتوزع على المساجد فى البلاد العربية ، وترسل اليه عدة نسخ لينشرها فى الهند ويبيعها(١) .

وكأن رشيدا لم يدرك قيمة هذه النصيحة من الرجل الهندى الا بعد أكثر من عشرين عاما ، حيث أخذ رشيد يفكر فى العكوف على التفسير وحده ، وكتب فيما كتب الى صديقه أمير البيان شكيب أرسلان يقول له بتاريخ ٢ من سبتمبر سنة ١٩٣١ م ١٣٥٠ هـ : « أكثر شغلى وأعظمه تفسير القرآن(٢) » . ونفع التفسير رشيدا من الناحية المادية ، حيث صار أروج كتبه باعتراف رشيد نفسه(٣) .

طريقة رشيد فى التفسير :

من الواضح أن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كان يعتمد كثيرا فى تفسيره القرآن الكريم على العقل والرأى ، مع حدود وقيود بطبيعة الحال ، وقد تبعه فى ذلك الاتجاه السيد محمد رشيد رضا ، بمقتضى أنه تلميذه ، والمتأثر به ، والناقل عنه ، والمتابع له ، وقد كان جهد الشيخ وخليفته ممثلا لحركة تجديدية واضحة المعالم فى التفسير(٤) .

ومهما قيل فى التفسير بالرأى فلا شك أن له فضلا فى أحياء الكثير من المفردات اللغوية ، والشواهد الشعرية ، والقواعد النحوية ، لأن المفسر بالرأى يعتمد أول ما يعتمد على مفهوم اللفظ فى اللغة ، وهذا يحتاج الى تتبع لاستعمال اللفظ فى مأثور الشعر والنثر ، ومن وراء هذا الاعتماد رأينا تفسيرا بأكمله يكاد يكون مقصورا على العناية بالناحيتين اللغوية والبلاغية ، وهو تفسير الكشاف للزمخشرى الذى يبدو جهده العقلى واضحا فى تفسيره من وراء عنايته بالبحث اللغوى والتحليل البلاغى(٥) .

كما أن التفسير بالرأى يحتاج الى اجتهاد واستقلال ، ورشيد ينعى على المقلدين من المفسرين بمثل قوله : « لا عذر لأحد فى التقليد المحض »(٦) . ولكن هذا لا يعنى أنه يتنكر لسلفيته ، بل يؤكد هذه السلفية بقوله : « وأقول — أنا مؤلف هذا التفسير — اننى والحمد لله على طريقة السلف وهديهم ، عليها أحيا ، وعليها أموت ان شاء الله تعالى(٧) » .

وكأنه قد أحس أن من الناس من سيقول له : وكيف تؤكد هذه السلفية وأنت فى تفسيرك تستشهد بتأويلات الخلف ، فيجيب رشيد على ذلك بعد أن يشير الى أنه يدعو الى عقيدة

---

(١) المنار ، المجلد ١٢ ص ٩٥٩ .
(٢) السيد رشيد رضا ، ص ٦٢٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .
(٤) يمكن مراجعة فصل : « حركة التجديد فى التفسير » فى كتاب قصة التفسير ، ص ١٥٦ — ١٦٩ .
(٥) قصة التفسير ، ص ١٠٥ .
(٦) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٨٥ . الطبعة الثالثة .
(٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٥٢ الطبعة الثالثة .

السلف : « وانما نورد فى باب التفسير وغيره من المنار بعض تأويلات الخلف للآيات والأخبار ، وما قد يخالف مذهبهم من الآراء العصرية ، وخاصة فى مقام الدفاع عن القرآن والسنة النبوية ، لأن الضرورة ألجأت اليها ، بتوقف اقامة الحجة أو دحض الشبهة عليها .

فان المنار ليس خاصا بالمذعنين للكتاب والسنة من المؤمنين ، بل يكتب لهم ولغيرهم من المبتدعين والمنافقين والكافرين ، ومنهم المنكر الجاحد ، والمجادل والمعاند ، ومنهم المشتبه المغرور بشبهته ، والمرتاب المتردد فى ريبته ، وحسبنا من الفلح أن نقنع بتأويل الخلف من تعذر اقناعه بتفويض السلف »(١) .

على أن اجتهاد رشيد فى التفسير ، وأخذه بالرأى وتأويل الخلف ، وتأثره بالآراء العصرية ، قد عرضه للكثير من النقد والتجريح ، ومن أمثلة ذلك أن رشيدا أنكر المهدى المنتظر فى الجزء التاسع من « تفسير المنار » ، وجزم بأن أحاديثه كلها من وضع دعاة الشيعة ، فهاجمه أحد الشيعة بنقد شديد(٢) .

ومن طريقة رشيد فى التفسير أنه يتحدث فى أول السورة عن سبب نزولها ، ويشير الى التناسب بين السورة وسابقتها ، بلا تكلف ، ثم يورد للسورة خلاصة يضمنها ما اشتملت عليه من العقائد والأحكام ، وقواعد الدين وأصول التشريع ، ثم يمضى فى تفسير الآية طائفة طائفة .

★ ... ★ ... ★

العناية بالجوانب اللغوية والبلاغية :

يذكر رشيد رضا أن فقه القرآن « يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته ، وذوق أساليبها ، وروح بلاغتها ، ومن تاريخ الاسلام ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهدى السلف الصالح ، ما يمكنه من فقهه لنفسه » .

فهو يجعل ملكة اللغة ، وذوق الأساليب ، وروح البلاغة ، فى طليعة ما يقدر به الانسان على فقه القرآن لنفسه ، وتفسيره لغيره ، ثم يعود بعد قليل فيذكر أول ما يذكر من وسائل فهم القرآن « فنون العربية التى لا بد منها » ، ثم يذكر أيضا « قواعد النحو والمعانى » ، وان كان فى الوقت نفسه يعيب على بعض التفاسير أنها تشغل الانسان عن القرآن « بمباحث الاعراب وقواعد النحو ، ونكت المعانى ومصطلحات البيان » .

ويرى أن من الضرورى الاستعانة فى التفسير بما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعانى اللغوية(٣) .

وهو يعجب بجودة العبارة وجزالة الاسلوب فى التفسير ، ولذلك ينوه بتفسير ابن عطية ، ويصفه بقوله : « لسانه من صميم العرب ، وأسلوبه بديع »(٤) .

وينقل رشيد عن أستاذه محمد عبده أن المرتبة العليا للتفسير لا تتم الا بأمور أحدها فهم حقائق الالفاظ المفردة فى القرآن ، ويحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة ، غير مكتف

---

(١) المنار ، المجلد ٢٠ ص ٤ .

(٢) تفسير المنار ، ج ٩ ص ٤٩٩ — ٥٠٤ . والسيد رشيد رضا ص ٥٤٧ . والمهاجم هو الاستاذ مصطفى جواد ، الباحث اللغوى العراقى .

(٣) تفسير المنار ، ج ١ ص ٧ .

(٤) جمال الدين القاسمى وعصره ، ص ٤٤٧ .

يقول فلان وفهم فلان ، لأن هناك ألفاظا كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعـــان ، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك .

ومن أمثلة ذلك لفظ ((التأويل)) الذى اشتهر بمعنى التفسير ، ولكنه استعمل فى القرآن بمعنى العاقبة فى قوله تعالى : ((هل ينظرون الا تأويله ، يوم يأتى تأويله ..))

★ ... ★ ... ★

والشواهد على العناية بالجانب اللغوى فى تفسير رشيد رضا ، كثيرة شائعة فى تفسيره ، حتى تدعوه أحيانا الى الاستطراد اللغوى ، ومن أمثلة ذلك أنه يتحدث عن معانى الأســـــماء الالهية : ((الحى — القيوم — الرحمن — الرحيم)) ، فيســـــتغرق فى ذلك صفحات ، فى آخر تفسيره لسورة الفاتحة(١) .

ونلاحظ أن المراجع اللغوية التى يرجع اليها رشيد كثيرة ، فهو يرجع الى المخصص لابن سيده ، والى مفردات القرآن للأصفهانى ، وبدائع الفوائد لابن القيم ، ولســـــان العرب لابن منظور ، والقاموس للفيروزابادى ، وشرح القاموس للزبيدى(٢) ، وغير ذلك .

★ ... ★ ... ★

واذا كان رشيد يعنى بالبيان الأدبى فى التفسير ، ويعيب التفريط فى توضيح هذا البيان بســـبب الانصراف الى القواعد النحوية ، حتى يقول عن بعض المفسرين مســـــتهجنا عملهم : ((صرفتهم قواعد النحو عن ملاحظة الاســـلوب العربى فى مثل هذا(٣))) ، فليس معنى هـــذا أن رشيدا يضيع حق النحو أو يهمله .

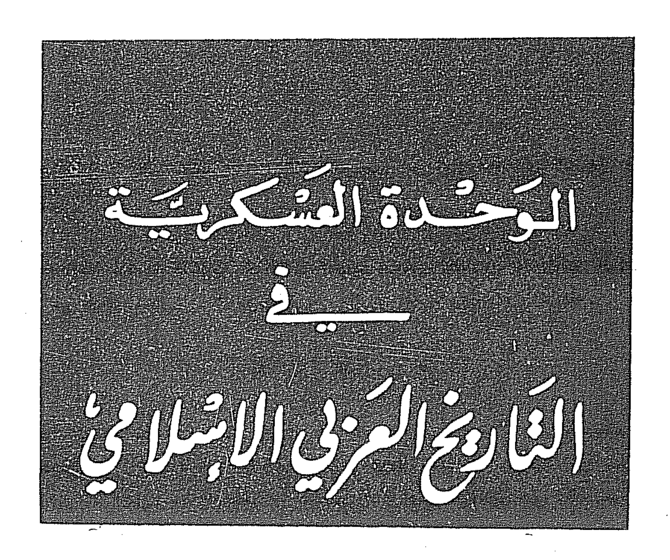
ولذلك ينقل رشيد عن أستاذه الامام قوله : ((لا يتعظ الانســـــان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده ، وتخشع لوعيده ، الا اذا عرف معانيه ، وذاق حلاوة أساليبه ، ولا يأتى هذا الا بمزاولة الكلام العربى البليغ ، مع النظر فى النحو ، كنحو ابن هشام ، وبعض فنون البلاغة ، كبلاغة عبد القاهر ، وبعد ذلك يكون له ذوق فى فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن(٤))) .

فرشيد اذن لا يهمل النحو ، ولا يحكم بعدم فائدته ، ولكنه حريص على ألا تشغل القواعد النحوية والبحث فيها من يفسر القرآن ، لأن الأهم من ذلك هو فهم النص القرآنى ، وتفســـــير هدفه ومغزاه .

★ ... ★ ... ★

---

(١) تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٢ — ٧٨ .
(٢) أنظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٠ و ٤١ و ٧٣ . و ج ٣ ص ٢٩ .
(٣) تفسير المنار ج ٢ ص ٨٥ .
(٤) تفسير المنار ج ١ ص ١٨٢ .



اللواء الركن : محمود شيت خطاب

(١)

القاعدة الثابتة التى لا يمكن أن تتغير ، ليس بالنسبة الى العرب وحدهم ، بل بالنسبة الى شعوب العالم كلها ، هى أن الشعب — كل شعب — لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصفوف والأهداف .

ولم نسمع بأمة من الأمم استطاعت أن تكون قوية لها مكانة مرموقة بين الأمم ، وهى متفرقة الصفوف والأهداف .

الوحدة تجعل من الأمة قوة ضاربة لا تغلب من قلة أبدا ، والفرقة تجعل من الأمة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها فى حرب ولا فى سلام . ولو أردنا أن نضرب الأمثال من الأمم غير العربية ، لضاق بنا المقام ولاحتجنا الى مجلدات وحسبنا أن نذكر أن ألمانيا وايطاليا مثلا ، كانتا مستعمرتين للنمسا قبل الوحدة تارة ولفرنسا تارة أخرى ، ولكنهما أصبحتا بعد الوحدة دولتين من الدول العظمى ، وقد استطاعتا أن تفرضا على الدول احترامهما بعد الوحدة وهددتا العالم كله بسيطرتهما القاهرة خلال النصف الأول من الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٢) . والولايات المتحدة الاميركية نفسها كانت مستعمرة كبيرة من مستعمرات بريطانيا ولكنها بالوحدة استطاعت أن تنال استقلالها أولا ، وأن تتضخم قوتها بعد ذلك حتى أصبحت أقوى قوة وأعظم مكانة من بريطانيا سيدتها أمس .

(٢)

وقد كان للعرب دول محلية قبل الاسلام فى اليمن السعيد وفى العراق وسورية ، عاشت فترة من الزمن ولكنها لم تترك لها أثرا ذا قيمة عالمية ، كما فعل العرب بعد الاسلام . وكان الموقف العربى قبل الاسلام يتلخص بما يلى :

اليمن السعيد فيه نفوذ الأحباش والفرس وفيه قبائل مستقلة — خاصة فى الجبال — عن هذين النفوذين .

وفى العراق دولة المناذرة ، خاضعة للفرس . وفى الشام دولة الغساسنة خاضعة للروم . وفى الجزيرة(١) عرب خاضعون للروم . وفى نجد والحجاز قبائل عربية ، كل قبيلة مستقلة عن الأخرى . كان العرب حينذاك فى جاهلية فكرية ، وفى جاهلية استعمارية وفى جاهلية عصبية ، وفى جاهلية دينية ، وفى جاهلية التمزق والتفرق والتناحر والاختلاف .

وجاء الاسلام ، فوحد صفوف العرب وجمع كلمتهم وحدد أهدافهم ، فأصبحوا فى شبه الجزيرة العربية صفا واحدا يعملون بقيادة واحدة هى قيادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلم يلتحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى الا وكان عرب شبه الجزيرة العربية التى تتصل بتخوم أرض الشام ومشارف العراق من الشمال وبالبحر الأحمر من الغرب وبالمحيط الهندى من الجنوب وبالخليج العربى من الشرق — وحدة تحت لواء الاسلام . وارتد قسم من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى استطاع أن يعيد الوحدة الى عرب شبه الجزيرة العربية ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها متنفسا فى الفتح الاسلامى العظيم . وفى أواخر أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه توجهت طلائع الفتح الاسلامى الى العراق وأرض الشام ، فاستطاع المثنى بن حارثة الشيبانى وخالد بن الوليد رضى الله عنهما أن يربحا معارك كثيرة فى العراق ، كما استطاع جيش المسلمين فى (اليرموك) أن يربح معركة حاسمة فى أرض الشام . وارتفع مد الفتح الاسلامى ارتفاعا مذهلا فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فاستطاع قادة الفتح الاسلامى فى أيامه فتح العراق والجزيرة وأرض الشام ومصر وشطرا من بلاد فارس . وبقى مد الفتح الاسلامى طاغيا عاتيا فى النصف الأول من حكم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فلما نشب الشغب فى النصف الثانى من حكمه بين المسلمين توقف الفتح ، واستطاع الفرس استعادة قسم من بلادهم فى خراسان من المسلمين . وبقى الفتح الاسلامى مجمدا فى أيام الفتنة الكبرى بل أصبحت البلاد الاسلامية مهددة بالغزو من الروم ، فزحف قيصر الروم فى جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام . وخاف معاوية بن أبى سفيان أن يشغله ذلك عما يحتاج الى تدبيره وإحكامه ، فوجه الى الروم وصالحهم على مائة ألف دينار ، وهكذا أصبح الطالب مطلوبا بفضل التفرق والانقسام . وحين استتب الأمر لمعاوية أغزى أمراء الشام على الصوائف ، فسبوا فى بلاد الروم سنة بعد سنة . عند ذاك طلب قيصر الروم الصلح على أن يضعف ما يقدمه للمسلمين من مال ، فلم يجبه معاوية الى طلبه . واستأنف الفتح الاسلامى سيره المتدفق فى الشرق والغرب بعد أن وضعت الفتنة الكبرى أوزارها ، فاستعاد العرب المسلمون فتح (سجستان) وفتحوا (كابل) كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جيحون) ففتحوا بخارى وسمرقند و (ترمذ) كما فتح عقبة بن نافع (تونس) واختط القيروان وسكن المسلمون (افريقية) وأسلم البربر واتصل الاسلام ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسى .

---

(١) جزيرة ابن عمر .

وفى الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية ، وهناك توفى أبو أيوب الأنصارى صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال قبره محفوظا مشهورا الى اليوم(١) .

وكان هذا الفتح كله بفضل الوحدة أيضا .

(٣)

وبعد معاوية بن أبى سفيان بدأت الفتن الداخلية فى استشهاد الحسين ابن على رضى الله عنه وحركات المختار بن أبى عبيد الثقفى وبعده مصعب بن الزبير وثورة الخوارج وثورة عبد الله بن الزبير .. الخ . فاضطربت أمور العرب المسلمين وتفرقت كلمتهم ، فكان من نتيجة ذلك أن الروم استعادوا افريقية من المسلمين كما استطاع قيصر القسطنطينية أن يهدد بلاد الشام فاضطر عبد الملك بن مروان الى عقد هدنة مع الروم . وفى المشرق توقف الفتح تماما واستعاد الفرس من المسلمين خراسان وسجستان . وبعد حروب دامية استطاع عبد الملك بن مروان أن يعيد الوحدة عام ثلاثة وسبعين الهجرية فأرسل عشان بن النعمان الغسانى لاستعادة افريقية ، ففتح (قرطاجنة) وأتم تحرير المغرب العربى من الروم .

وفى سنة ثلاث وسبعين الهجرية وهو عام الوحدة — عين عبد الملك أخاه محمد بن مروان واليا على الجزيرة وأرمينية ، وقطع النقود التى كان يرسلها للروم لقاء سكوتهم عن حرب المسلمين ، واستطاع المسلمون سنة أربعة وسبعين الهجرية الانتصار على الروم وتوغلوا فى بلادهم وفى سنة ثمان وسبعين الهجرية استعاد المسلمون خراسان وسجستان وفتحوا مدنا أخرى(٢) واستطاع موسى بن نصير فتح المغرب الأقصى وفتح طنجة وغزا صقلية وفتح الأندلس(٣) وكان ذلك كله بفضل الوحدة .

(٤)

وبعد الوليد بن عبد الملك توقف الفتح الاسلامى حتى سنة انهيار الدولة الأموية ، وهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة الهجرية حيث بدأت صفحة الدولة العباسية فى التاريخ . وبعد سنة من مولد الدولة العباسية أى سنة ثلاثة وثلاثين ومائة الهجرية استطاع الروم الانتصار على المسلمين فى (ملطية) واستعادوها منهم فهدموا المدينة والجامع وأجلوا المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة من هذه المدينة(٤) . وتوالت الفتن والمشاكل منها طائفية ومنها سياسية لعل أعظمها كان انفصال الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة عن الدولة العباسية(٥) فأصبحت الدولة الاسلامية الواحدة دولتين ، دولة فى المشرق ودولة فى المغرب . وكانت الدولتان قويتين فى ابتداء أمرهما ، ولكن استقلال الأمصار عنهما بالتدريج أدى فى النهاية الى سقوط الدولة العباسية بيد التتار وخروج العرب من الأندلس واستيلاء الصليبيين على قسم كبير من

---

(١) أنظر التفاصيل فى — قادة فتح الشام ومصر (١٨١ — ١٨٢) .

(٢) أنظر التفاصيل فى — قادة فتح المغرب العربى (٢/٩٩ — ١٠١) .

(٣) أنظر التفاصيل فى — قادة فتح المغرب العربى (١/٢٣٢ — ٢٧٣) .

(٤) العبر (١/١٧٩) .

(٥) (الطبرى/٢/١٤٤) .

سورية ولبنان وفلسطين وشمال افريقية . ومر على العرب فترة كان لهم فى كل بلد دولة ، وهذا التفرق هو الذى أدى بهم الى الضعف والهوان فطمع ببلادهم الصليبيون وغير الصليبيين ، ولولا نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين اللذان جاهدا من أجل الوحدة ووحدا من أجل الجهاد لما استطاع العرب استعادة القسم الأكبر مما اغتصبه الصليبيون من بلادهم .

(٥)

وبقى العرب ضعفاء لتفرقهم مستعبدين لغيرهم من الأمم حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ ، فاحتل المستعمرون بلادهم وأقاموا الحدود والسدود بين الأقطار العربية ، وشجعوا الروح الاقليمية والطائفية على مبدأ (فرق تسد) وأشاعوا التحلل الخلقى ، ونشروا المبادىء الوافدة ، وجعلوا العرب يشيحون بوجوههم عن تراثهم العريق وعمقوا فى عقولهم آثار الاستعمار الفكرى البغيض .

ثم خلقوا اسرائيل فى بقعة من بقاعنا المقدسة ، لتكون قاعدة ضخمة لهم يعتمدون عليها فى أيام السلام والحرب . لقد قدر الاستعمار أن العرب لن يبقوا فى سبات عميق الى قيام الساعة ، ولمس بحق عزم العرب على أخذ حقوقهم كاملة من المستعمرين فخلقوا اسرائيل لتكون عونا لهم على اضعاف العرب ، واستنزاف طاقاتهم المادية والمعنوية كلما أرادوا تطوير بلادهم والتحرر والانطلاق من ربقة الاستعمارين القديم والجديد ، اسرائيل قاعدة للاستعمار فى الشرق الأوسط فى أيام السلام لأن العرب مضطرون على تقوية جيوشهم عددا وسلاحا ، وهذا يحتاج الى المال الوفير والجهد المضنى ما كان أحوج العرب اليهما فى تطوير بلادهم لولا وجود اسرائيل .

واسرائيل قاعدة للاستعمار فى الشرق الأوسط فى أيام الحرب لأن الاستعمار يزودها بالسلاح وبالخبرات الفنية لتكون قوية دائما قادرة على ضرب الدول العربية التى تخرج على مصالح الاستعمار وتعمل من أجل بلادها ومصالحها العليا . وهى قاعدة للاستعمار أيضا فى حالة نشوب حرب عالمية ثالثة بين الشرق والغرب لذلك فمن مصلحة الاستعمار أن تكون اسرائيل قوية وأن تتوسع على حساب البلاد العربية . ان الاستعمار الذى خرج من باب الدول العربية دخل الى الشرق الأوسط من نافذة اسرائيل . لهذا دأب المستعمرون على الادعاء بأن اسرائيل خلقت لتبقى . ذلك لأن بقاءها من مصلحة الاستعمار . والاستعمار كما هو معلوم مسيطر سيطرة كاملة على الهيئات الدولية ، ، وعلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بالذات . فلا مجال للعرب أن يأخذوا حقوقهم بالوسائل السياسية فى أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن أو فى المجالات السياسية الاخرى . وعلى ذلك لم يبق أمام العرب غير طريق واحد هو أن يأخذوا حقوقهم بالقوة .. وبالقوة وحدها .

وسبيل القوة هى الوحدة ، والوحدة العسكرية على الأخص بين العرب :

ومرة ثانية ..

اذا لم يضع العرب الوحدة العسكرية العربية فى حيز التنفيذ فورا ، فانهم بعد سنوات سيكونون اما عبيدا فى بلادهم أو لاجئين خارج بلادهم .

وقد أعذر من أنذر ..

من وحي ميلاد الرسول

لاح فجر الحيـــاة والأحيـــاء وأضـــــاء الوجود فيض ذكاء
فعلى الأرض رحمة وســـلام وضـــياء وفرحة فى الســماء
وسرى موكب البشـــائر يزهو برســـول مطهر الأنحـــاء
جاء والـــكون فى ظـــلام وظلم وهـــوان وذلة وعنـــاء
فمضى والرشـــاد بين يديه يســـكب النور فى دجى الظلماء
اليتيم الفقـــير أنقذ كونا من شرور وفتنـــة رعنـــاء
اليتيـم الفقير شـــيد صرحـــا ثابتـــا شامخـــا رفيـــع البنـــاء
اليتيم الفقـــير أولى البرايا آى حق من الســنا والســناء

*.. .. .. .. *

ولد الهـــدى يوم مولد طه قاهر البغى ناصر الضـــعفاء
هل درت يـــوم ودعت بنت وهب أن من خلفت أبو الأنبيـــاء
أنه منقـــذ البـــرية طرا ورسول الســماء للأحيـــاء
أنجبته من فرع نســل شريف من قريش أصـــوله فى ازدهاء
كيف جلى حقيـــقة ، كيف زكى دوحة الخير فى ربى الصـــحراء
كيف أمضى الرأى القويم ســديدا فى ربوع من جهلها فى عمـــاء
لم تضره عـــداوة أضرمتهـــا عصبة الشر فى لظى البغضـــاء

للأستاذ
حسن فتح الباب

وعد المتقـــين جنـــة عدن   والذين افتروا الى الرمضـــــاء
جنة عرضها كعرض الســـموا   ت أعدت بشـــيرا الى الأتقياء
ان يكن قومه الحيـــارى أضلوا   قبله فى العقـــائد الشـــوهاء
فلقد أصـــبحوا به خـــير قوم   ولقد عز شـــأنهم فى العـــلاء
بعــــد خلف وفرقة وصراع   واحتراب وفتنـــــة وافتراء
صــــار فيهم وحى اليقين اماما   وســـبيلا فى صبحهم والمســـاء
لا تســـلهم عما بنوه وســـائل   ما استجدوا من المعـــانى الوضاء
مجـدوا الحق فاســـتردوا حقوقا   ضـــيعتها غوائل الشـــحناء
هم بناة الهدى وحصن المعـــالى   وهداة الورى وكنز النقـــاء
لن يضـــيعوا وهذه صـــفحات   خلدوها فى مســـمع الجوزاء

* .. .. .. *

أيهـــا الشرق آن منك نهوض   نرتجى منه نهضة الســـعداء
أيهـــا الشرق آن رد حقـــوق   نرتجيهـــا على مدى الآناء
كل عيـــد يحين نذكـــر مجـــدا   صـــنته فى فؤادك اللألاء
ذاك عيد الثرى وعيد الســـماء   مولد المصـــطفى رســـول الاخاء

ميلاد أمة

بمولـد (أحمد) شرف الوجـود   فيا نعم الطوالـع والجـدود
طوالع حكمـة ، هلت فكانت   سنى جد تطالعـه السعـود
وبان الغيب يكشف عن سلام   يسايره من النعمى جديـد
وجد على عهود الناس عهد   تهيم بحسن جدته العهـود
وطاف على الوجود منار أمن   مجيد الطيف وضاء حميـد
كأجنحـة الملائكة استقلت   لساق العرش ركنا لا يميـد
تساجل سمته في العز بيت   عليـه الروح طواف عتيـد
فاطـوار الملائك في ذراه   قيام حول كعبته سجـود
تضيق بوصفه سعـة المعاني   وليس لحصرها أبـدا حدود
به من (مولـد المختار) شمس   يشع بنورها الدين الوحيـد

ويوم في الحـوادث جملتـه   من الرحمات آيات شهود
شهـدنا قدس مطلعه شهابا   تلألأ فوق لبتـه العقـود
مشى بمواكب التاريخ صفا   نظائـره من التقـوى بنـود
ففيـه لعابـد الأهـواء زجر   وفيـه لجاحـد النعمى وعيـد
وفيـه لمسلك الدنيا نظام   أساس بنـاء حكمته وطيـد
برغـم معانـد نطغى عليـه   حقـود تستبد جذوتها حقـود

فمـا لهـم وعرش مستقر   وملك في الفضائـل لا يبيـد
بناه (محمد) وحمـى بنيـه   بجهـد لا تنازعـه الجهـود
فكان بأصلح الأديـان عونـا   على دنيا تنـازع من يريـد

للأستاذ : مرسي شاكر طنطاوي

يشد العزم بين يد وعين — ونفس لا تمل ولا تحيد
وقلب لا يساوره افتتان — وطرف لا يلم به هجود
تكرمه النبوة مطمئنا — بنفس جد نهضتها سعيد
لقد حسدوه من خوف عليها — فماذا يبلغ الرجل الحسود
وظنوها مطالب هينات — فجد الجد (عتبة والوليد)
وهام بها (ابن مسعود) فكانت — أماني كاذبات لا تفيد
ومد (عميرة الثقفي) فيها — طماعة من يجد ولا يجيد
ولكن النبوة حمل عبء — ينوء بحمله الجيش العديد
فلا تعطى بميراث فتفضي — الى من خالها أملا يسود
فكيف بهم لدى أحكام داع — أعز جموعهم ، وهو الطريد
شديد في التحرر لا يبالي — شدائد تضمحل بها الجنود
له من صحبة الأخيار جند — كرام مواقع الهمات صيد
شداد كم تحدتهم خطوب — يضاعف هولها الخصم اللدود
تلقوها وقائع مضنيات — وألقوها عوادي لا تعود
فكانوا في يقينهم جبالا — تنوء بها العواصف والرعود

• • •

بأية قوة هموا ، فطالوا — بأية حكمة منحوا فزيدوا
بإيمان تأصل في قلوب — ترى أن التهيب هو السعيد
فما مالوا عن الحسنات قيدا — ولا دلاهم بالعجز قيد
فهل نلقى مثالهم بعصر — تفيض الدمع والآمال سود
ونلمح في (فلسطين) اتقادا — تحسى لهب جذوته اللحود
وفينا قوة ، ولنا شباب — يناديه الى العليا صعود
وما العلياء الا بذل نفس — الى الهيجاء يعقبه الخلود
الى هيجاء تدعو كل حر — هلم ، هلم ، فالمرمى بعيد



يكتبها : عبد المنعم النمر

علتنا الأولى في الشرق

نستعير أسلوب الأرصاد الجوية اذا قلنا فى رصد أحوال مجتمعنا : انه يقع فى منطقة انخفاض حضارى عرضها لهبوب الرياح العاتية عليها من مناطق الارتفاع الحضارى فى العالم .. وقد استعرت هذا الاسلوب لأشير به الى سنة فى الحياة ثابتة لا تتغير ، وهى أن مناطق الانخفاض أو الهبوط فى أى شىء ماديا كان أم فكريا وثقافيا تكون عرضة لغزو يتحدر اليها من خارجها حتى ليحدث منه أحيانا ما نسميه بالدوامة التى تبتلع من أو مايدخل فى نطاقها ، أو الزوابع والعواصف التى تهدم وتقصف وتغرق ..

فالماء ينحدر دائما من المكان العالى الى المكان المنخفض ، والهواء يجرى دائما لأماكن التخلخل ، وكذلك الافكار والمظاهر .. وهبوط مستوى القوة فى أمة يغرى الأقوياء بغزوها ، وهبوط الجدران وانخفاضها يغرى حتى الكلاب والقطط بتسلقها والقفز عليها ...

تلك سنة الحياة وفيها ما نستطيع تغييره والتحكم فيه ، وفيها ما لا نستطيع ... ومن واجبنا أن نبذل جهدنا فيما نستطيعه حتى نصد التيارات المتجهة الينا ، أو نحول بين البيت وبين الكلاب والقطط .. أو نحمى أنفسنا من تحكم الأقوياء فينا ... ومن الفرض الواجب علينا فكريا أن نستفيد من مظاهر الطبيعة أمامنا فنعرف أن الانخفاض دائما يعرض منطقته لأخطار الغزو الخارجى من أى نوع كان ذلك الغزو ...

هذا كلام قد يكون مكررا فى موضوعه ، لكن لا بد من الكلام فيه مرة ومرات لأن دواعيه موجودة وأخطارها ماثلة تلح علينا وتغمزنا فى جنوبنا كلما تحركنا ، وتكاد تكون علتنا الأولى فيما نشكو منه . فما من شىء نشكو منه الا وسببه اننا نهدر شخصيتنا ونستقبل كل وارد من غيرنا ، من الغرب أو الشرق ، بمظاهر الحفاوة والتقدير ، ولا داعى أن أقول التقديس وان كان ظاهرنا يدل عليه .. لأننا تركنا فعلا الكلام المقدس كلام الله وتعليماته وتمسكنا بهذه المستوردات حتى أصبح من المتعذر أن نفرط فيها ، وأصبح هذا مظهرنا أو سيرنا فى الحياة فى كل جوانبها ...

وأمامى الآن حديث طويل مع كبير المهندسين المصريين عن فن العمارة أضع أمامك منه هـذه العبارة ((تجدنا اليوم نقتبس المبانى من الطرازات الأجنبية المنقولة عن أعمال المهندسين الغربيين فى أمريكا وسويسرا وانجلترا وفرنسا على الخصوص ، وأكثر من ذلك تجدنا نقلـد أعمال بعض المهندسين الغربيين وذلك لمجرد أن أسماءهم أصبحت معروفة فى بلادهم ، فاخذ المهندسون يتمسحون بهذه الأسماء ليضعوا على أنفسهم صفة المعاصرة . ان نقل أفكار هؤلاء المهندسين الى بلادنـا يعتبر تخلفا من الناحية الفنية والهندسية والعلمية ... الخ))

هذا كلام يعطينا صورة عن غرامنا بالتقليد فى كل شىء ... حتى أصبحنا أمام تيار جـارف يشكل حياتنا على نمط غربى ، لا على النمط الذى ينبغى أن يكون ، وتجدنا أمام هذه الظاهرة يحاول بعضنا أن يتفلت منها ، ولكنه يجد أن العقلية المسيطرة علينا ، أو يجد أن نظام حياتنا ، مرتبط بهذا التيار ، حتى أصبح كأنه القاعدة ، وغيره مما يتصل بديننا أو تقاليدنا الكريمة شاذ غير منسجم مع حياتنا . ودعنى أسرد لك بعض الأمثلة الواقعية غير ما تقدم من ملابس النساء ومن الرقص ومجالس الشرب والعمار ومن تقاليع الخنافس الخ ..

وأخيراً مسألة الاختلاط

هذه المسألة التى كتب الكثيرون فيها الى .. ويعيبون أننا فى المجلة لم نقل رأينا أو لم ندل بدلونا ... ويطلبون حكم الدين فيه ، وذلك لاثارة هذا الموضوع بمناسبة جامعة الكويت الجديدة . ومع أننى أعرف أن اللف حول رأى الدين انما هو شىء نظرى لا غير ، لأننى أعـرف كذلك أن أى مجتمع اسلامى لم يستشر الدين حتى الآن فى سلوكه أو قوانينه بقدر ما سلم نفسه للغرب وقوانينه يصنعانه ويكيفانه ، والا فهل استشاروا الدين ونزلوا على حكمه فى ملابس المرأة عندنا مثلا ؟! ورأى الدين معروف لا يمكن لأحد أن يناقش أو يؤول فيه ... ومن قبل ثارت مناقشات مشابهة ، ومـع معرفة رأى الدين اندفع الجميع فى التيـار المخالف له حتى أصبحنا نرى ما نراه الآن ، مما لم يكن دعاة تحرر المرأة ، يتصورون أو يتخيلون أنها سـتصل فى تحررها الى حد كشف أفخاذها والاغراء بمفاتنها ، الى الحد الذى نراه الآن . مع الأسف . والسـبب هو التقليد والرغبة فى أن يقـال عنا متمدنون أو متمدنات . وهذا أهم فى نظرنا من أن يقال متدينون محـافظون .. لأن طاعة الله لم تصـبح ذات بال فى نفوسنا . ولذلك أقول سلفا .. ان مسـألة الاختلاط التى تدور حولها المناقشة سيطويها الزمن كما طوى غيرها ونندفع فى التيار الذى شئنا أن نسـير فيه ، اللهم الا اذا شعرنا بأنفسنا وشخصيتنا . وعالجنا الأمور كلها من جذورها ...

الملابس أولا :

لذا أحب قبل أن نشغل أنفسنا بموضوع الاختلاط الذى فرغت منه بعض بلادنا العربية مـع الأسف ورمت بنفسها فى أحضان التقاليد الغربية .. أن يكون الأولى الرأى والامر موقف حاسم فى موضوع الملابس على وضعها الحالى .. ولا خلاف مطلقا على مخالفتها لديننا وتقاليدنا ... فهـل ينزلون عند رأى الدين ؟ أو أن مظاهر التمدن عنـدنا أولى من رأى الدين وطاعة الله ؟ هذا هو الموضوع الذى يجب أن يقف الجميع عنده أولا ويبتوا فيه ...

أما أن نتناقش فى موضوع الاختلاط مع ترك الملابس على وضعها الحالى .. فعبث أو أكثر من العبث ولا أريد أن أزيد عن هذا ... واذا كنت أسمع أو أقرأ لمحبذى الاختلاط فى المجتمع الكويتى الآن بمناسبة جامعتها الجديدة بعض استشهاداتهم بالمحاربات المسلمات مع الرسول أو الصحابـة وغير ذلك من ظواهر سابقة ... فانى أقول لهم ما دمتم تريدون الاستشهاد بالدين فالتزموا به فى كل

أمر يتصل بهذا الموضوع على الأقل .. التزموا به فى الملابس .. فى الآداب العامة . نحن لا ننكر الشواهد التى يستشهدون بها .. ولكن فاتهم شىء وهو — كيف كانت حالة المرأة المسلمة التى يستشهدون بحوادثها ؟ كونوا مثلها أو قاربوها ... وحينئذ يصح لكم الاستشهاد وتكون لكم الحجة .. والا فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم أو صحابته الكرام يسمحون لها بهذه المشاركة أو حضور الصلاة أو الحج مثلا لو كانت على وضع المرأة أو الفتاة عندنا الآن وبملابسها المغرية الفاتنة ؟!!! وقد حكى أن رجلا طلب من أحد الصلحاء أن يقرأ له الفاتحة حتى يشفيه الله من المرض كما فعل عمر رضى الله عنه .. فقال له : يا بنى .. حقيقة هذه هى الفاتحة .. ولكن أين عمر ؟

صوت من الغرب

وأحب قبل أن أنهى هذا الموضوع أن أضع أمام القارىء صوت امرأة غربية طافت ببلاد الشرق وهى تراسل ٢٥٠ صحيفة أمريكية ولها مقال يومى يقرؤه الملايين فى تلك الصحف وهى تعالج مشكلات الشباب دون سن العشرين ، وزارت جميع بلاد العالم ومنها البلاد العربية ... وذلك لنعرف هنا رأى الذين جربوا ما نقلده ونفضله على آدابنا . تقول الصحفية الاميركية « هيلين » :

« ان المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى يقيد بها الفتاة والشاب فى حدود المعقول — وان هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبى والأمريكى فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة ، وتحتم احترام الأبوين ، بل وتحتم كذلك عدم الاباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوربا وأمريكا ، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا الى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من الاباحية والانطلاق والمجون فى أوربا وأمريكا . لقد أصبح المجتمع الامريكى مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة .. أن الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الاوروبى والامريكى هدد الأسر وزلزل القيم والاخلاق .. الخ .. » فيا دعاة التقليد . ما رأيكم فى هذا الكلام الجدى ؟.. هل تقلدونه ؟.. أو أننا نقلد فقط فيما يضرنا ويتجه اتجاها معاكسا لديننا ؟!! مع الأسف !!

رسائل :

وأحب أن أفسح المجال بعد ذلك لبعض رسائل من القراء .

الرسالة الأولى من الأخت المسلمة (ن.أ.أ) من الاسكندرية تقول فيها :

« أننى أرسل هذه الرسالة لغرضين أحدهما عتاب والآخر سؤال فلنبدأ بالعتاب :

ان عنوان المجلة مدون عليه أنها تصدر أول كل شهر هجرى ولكنها تصل الينا فى ج. ع. م على الأقل يوم ١٥ من الشهر الهجرى ، فلماذا كل هذا التأخير ؟ والعدد الجديد لم يصل الا يوم ٢٠ محرم هذا مع العلم بأنه كان كمية صغيرة جدا لدرجة أنه وصل الينا فى الاسكندرية الساعة التاسعة مساء . وفى اليوم التالى توجهت لشرائه الساعة السابعة صباحا فلم أجده وهكذا الوضع بالنسبة لثلاثة أرباع القراء على الأقل فى ج. ع. م . ان هذا العدد الذى اعتبرتموه سيادتكم هدية للقراء لم يكن بالنسبة لهم سوى خيبة أمل فالذى يظل ينتظر المجلة بشوق شديد طوال الشهر ، ثم يفاجأ فى نهاية الشهر بوصولها ونفاذها فى ساعات لا بد أن يصاب بخيبة أمل . وانني أرسل هذه الرسالة نيابة عن زميلاتى فى المدرسة فهن جميعا لم تحصل واحدة منهن على عدد واحد من المجلة هذا

الشهر . واذا كان الأمر كذلك فهناك حلان : الأول : اما طرح أعداد وفيـرة من المجلة اذا كانت هناك فيما بعد هدايا أخرى ، أو الامتناع عن الهدايا وانى أقترح هذين الحلين لكى لا تحرم بعد هذا من أعداد أخرى من المجلة بسبب « الهدية » هذا عن العتاب » .

وبجوار هذا جاءنى خطاب من القارىء (ع.أ.ن) بالاسكندرية يقول فيه :

أخبرنى زملائى فى البنك ان المجلة قد وصلت . ولكن الذى حدث أن المجلة قد نفذت فى خلال ثلاث ساعات . ومررت على بائعى الصحف فأجمعوا على أن المطروح منها للتوزيع كان قليلا جـدا بالنسبة للتهافت الكبير على شرائها رغم أنها بيعت بضعف ثمنها الاصلى وصباح اليوم جاءتنى احدى زميلاتى متجهمة حتى ظننت أن أمرا محزنا ألم بها ، ولشد ما كانت دهشتى واعجابى أيضا حين قالت أنها متضايقة لأنها لم تعثر على نسختها من الوعى الاسلامى ... وهكذا كانت المجلة حدث المدينة .... الخ .. »

واننى اذ أحمد الله على هذه الظاهرة الطيبة ، أود أن أقول : انه وصلتنى مع هذه الرسائل برقية من شركة توزيع الاخبار تهنئنا بنفاد عدد المحرم . وكنا قد أرسلنا منه ٢٥ ألفا .. ولهذا نعد بزيادة الكمية فى الاعداد القادمة ان شـــاء الله . واننى اذ أشكر الأخت والأخ على عنايتهما بمجلتهما أعتذر عن وصول المجلة متأخرة ، وذلك لظروف شحنها من الكويت ، وأرجو أن نتغلب على هذه الظروف فى المستقبل .

أما سؤال الأخت الخاص بالظاهرة التى تشكو منها .. فيمكن أن تعرض نفسها على طبيبـة مختصة وهى متوفرة والا فعلى طبيب ... وما دام الذى تشتكين منه يحدث يوميا وبصورة شـبه مستمرة .. فان حكمه حكم البول يعنى ينقض الوضوء ويستدعى غسل ما يصل اليه من الجسـم أو الملابس بالماء فقط .. وأسأل الله لك التوفيق . وأنا منتظر عنوانك الخاص لأرسل اليك العدد الممتاز هدية من المجلة .

وبجوار هاتين الرسالتين اكتفى برسالة أخرى جاءتنى من السيد / اســماعيل زيدان صاحب حانوت بسنجار ــ الموصل . بالعراق يشكو فيها من عدم توزيع الباعة للهدية مع العدد ، ويقول انها سرقت ويأسف للروح السيئة التى حملتهـم على الطمـع فى هذه الهدية وعدم توزيعها عـلى القراء ... الخ ..

وأنا أنشر شكوى القارىء لأنبه المسئولين عن التوزيع بالعراق الى هذه الظاهرة ، حتى لا تتكرر مرة ثانية ، « حتى ولو كانت قيمة الهدية ألف دينار » كما يقول صاحب الرسالة ونقول معه ، لأن المسألة متعلقة بخلق الامانة الـذى يجب أن نتحلى به جميعا « وسنرسـل لك الهدية يا سـيد اسماعيل تحية منا اليك .. والله مع العاملين المخلصين .

مصحف مزور ..

فى عدد فبراير ١٩٦٩ من مجلة « بريد الشرق » التى تصـــدر بالعربية من ألمانيا اعلان عن أفخم مصحف طبع منه مائة ألف نسخة طبعة شعبية أولى أنيقة بماء الذهب ومجلدة بالبلاســتيك والمزركش بالحلل السندسية المذهبة .. الخ . وبأرخص الأسعار ..

وهذا اعلان يغرى كل مسلم باقتناء هذا المصحف . وهو يتساءل لماذا كل هذه التضحية ؟

وقد أتانا الجواب سريعا ممن اطلعوا على هذا المصحف .. ورأوا أن الصهيونية من وراء هذا المشروع .. وأن المصحف قد حذفت منه الآيات التى تدين بنى اسرائيل لذلك رأينا من الضرورى أن ننبه الى هذا حتى لا يقع المسلمون فى هذه الحبائل الصهيونية .

صفحات مطوية

من أحداث الشام والدولة العثمانية

الوقائع التي سبقت أحداث ١٦ أيار (مايو) ١٩١٦

للشيخ : طه الولي ـ بيروت

فى بيروت ساحة تسمى ((ساحة البرج)) أو ((ساحة الشهداء)) فما سبب هذه التسمية ؟ ومن هم هؤلاء الذين قيل عنهم انهم شهداء ؟ ولماذا أعدموا ؟ ومتى ؟

معلومات وافية مدعمة بالوثائق يقدمها لابناء هذا الجيل العالم المدقق الشيخ طه الولى حتى يكونوا على علم بتاريخهم القريب .

قام القائد التركى أحمد جمال باشا باعدام نفر من أهل الشام فى ساحة البرج فى بيروت ابان الحرب العالمية الأولى ، ونرى من المناسب تاريخيا — أن نكشف عن الظروف والملابسات التى أدت الى هذا . خدمة للتاريخ ..

ولذلك نورد فيما يلى طرفا من المعلومات التى تلقى ضوءا على الظروف التى أدت الى اعتقال القافلة الأولى من الذين أعدمتهم السلطات العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ م .

فى اليوم العاشر من شهر أيار (مايو) سنة ١٩١٥ تلقت ادارة المخابرات التابعة للجيش الرابع الهمايونى تقريرا هذا نصه باللغة العربية :

((اننى شاب مسلم من أبناء أهالى بيروت أحب دولتى وبلادى باخلاص تام ، واربأ بها ان تكون ألعوبة بيد بعض أبنائها الذين لا ضمير لهم ، يدفعونها الى يد الأجانب .))

((سمعت منذ أيام بمؤامرة يدبرها بعض من لا أخلاق لهم ضد مولانا الخليفة

الأعظم وصاحب الدولة قائدنا المحبوب أحمد جمال باشا أمد الله فى عمره وأبقاه ذخرا للدولة والدين . وعلمت بأن هذه المؤامرة مدبرة بيد أحد كبار رجال الادارة فى بيروت وهو عبد الوهاب الانكليزى (كان يومئذ مفتشا ملكيا) حيث عرفت بأن عدة اجتماعات عقدت فى منزله ، كان من أبطالها عبد الكريم بك الخليل وغيره من رجالات هذا البلد البائس بهم ، ولهذا جئت اطلع دولتكم على هذه الحقيقة ، حتى اذا وجدت اقبالا منكم ، بادرت الى التحقيق بها مولاى » .

الامضاء : أحمد سعيد العاملى

حول جمال باشا قائد الجيش الرابع الهمايونى ، هذه الرسالة الى والى بيروت دون أن يعيرها التفاتا ، فكتب عليها الوالى : أنه لم يجد فى بيروت رجلا باسم أحمد سعيد العاملى ويعتقد بأن الاسم مستعار ، ولهذا يعرض الكيفية . .

فى اليوم التالى ، تلقى احمد جمال باشا من صاحب التقرير نفسه كتابا آخر بواسطة والى الولاية يقول فيه :

« بلغنى أنكم أحلتم التقرير الذى قدمته لصاحب الدولة والفخامة أحمد جمال باشا وزير البحرية الفخيمة وقائد الجيش الرابع الهمايونى الأعظم الى والى بيروت بكر سامى بك . ولما كان الوالى نفسه غير مخلص لصاحب الفخامة ولحزب الاتحاد والترقى الموقر ، وكان يرغب فى طمس الحقائق المعروفة منه جئت لافتا نظركم لايضاح الكيفية لصاحب الفخامة أحمد جمال باشا وأنا على استعداد للقدوم الى القدس لايضاح المعلومات التى لدى ، مولاى » .

الامضاء : أحمد سعيد العاملى

لاقى هذا التقرير التأكيدى هوى فى نفس أحمد جمال باشا لانه يوافقه فى الشك ببكر سامى بك لذلك انتدب مدير شرطة بيروت محى الدين بك للتحقيق سرا عن مرسل التقرير واطلاعه على النتيجة ، وكتب الى ضيا بك قائمقام صيدا بمثل ذلك . ولكن النتيجة كانت عدم معرفة كلا الموظفين الكبيرين لشـــــخص يحمل اسم صاحب التقرير سواء فى صيدا أو فى بيروت .

وفى ٢٩ ايار سنة ١٩١٥ تلقى أحمد جمال باشا من نفس الشخص صاحب التقريرين السابقين تقريرا جديدا يقول فيه :

« جاء الى بيروت منذ يومين عبد الكريم بك الخليل موضع ثقة أحمد جمال باشا والعامل سرا على مقاومة نفوذه . وقد قابل أول الامر ، مفتش الملكيـــة عبد الوهاب بك الانكليزى وتباحثا معا فى تنظيم الحركة الثورية فى البلاد . ومن ثم توجه عبد الكريم الخليل الى قرية « برج البراجنة » فى ضواحى بيروت وفيها اجتمع مع بعض رجاله السريين وتباحثوا فى الموقف والتدابير الواجب اتخاذها لاحداث الثورة المنتظرة » .

« والذى علمته ان عبد الكريم مسافر الى صيدا للاجتماع مع بعض اركان الحزب المؤيد له ، وفى مقدمتهم نائب صيدا السابق رضا بك الصـــلح (والد المرحوم رياض بك الصلح) وبعض الزعماء المعروفين . »

« ان هؤلاء يشتغلون ضد الدولة ويريدون احداث ثورة فى هذه البلاد بجانب الدول الاجنبية عدوة أمتنا الاسلامية ، والدولة العلية » .

الامضاء : أحمد سعيد العاملى

وقد نقل بكر سامى بك والى بيروت هذه الاخبار الى المسـؤولين دون الاشارة الى ما جاء فى برقية قائمقام صيدا ضيا بك بشأن تحركات عبد الكريم الخليل بين العناصر المعادية للسلطة العثمانية امثال رضا بك الصلح .

ومما جاء فى برقية القائمقام ضيا بك المذكور الى جمال باشا قوله :

« ان الشيخ اسعد الشقيرى (والد أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأسبق) يشير باستدعاء كامل بك الاسعد « عم المرحوم أحمد بك الاسعد رئيس المجلس النيابى سـابقا فى لبنان » الذى يملك معلومات عن المؤامرات التى يديرها الخليل وجماعته » .

وبالفعل ، استدعى جمال باشا كامل بك الاسعد فى ١٣ حزيران سنة ١٩١٥ الى القدس ، وفى مقر الباشا فى جبل الطور تقدم كامل بك من جمال باشا قائلا :

« تدور منذ مدة دعايات واسعة لاحداث ثورة فى المنطقة السورية تبدا من جهتين : زحله وصيدا . فجماعة الجمعية اللبنانية يشتغلون فى منطقة زحـله وجماعة الحزب اللامركزى فى صيدا . »

جمال باشا ـــ وهل الحزبان اللبنانى والسورى يعملان يدا واحدة فى هذا السبيل مع اختلاف نزعاتهما السياسية ؟

الاسعد ـــ نعم انهما يشتغلان معا ، فالجميـع يعتقدون ان من الواجب تحقيق هدفهما الاول ، وهو مقاومة الدولة العثمانية واحلال فرنسا مكانها .

جمال باشا ـــ اذن هما لا يعملان فى سبيل استقلال هذه البلاد بعد فصلها عن السلطة العثمانية

الاسعد ـــ كلا .

جمال باشا ـــ وما هى مساعيهما الجديدة ؟

الاسعد ـــ ان عبد الكريم يعرف حق المعرفة حقيقة موقف القوات العثمانية فى هذه البلاد ، وهو يرى ان الموقف الحاضر خير مساعد للحركة الثوروية التى يعمل فى سبيلها .

ان الحلفاء يعتقدون ان ليس فى مقدورهم مهاجمة هذه السواحل مهما بذلوا من جهود لسببين :

١ ـــ لخوفهم من القوات الموجودة ، وعدم رغبتهم فى فتح جبهات جديدة .
٢ ـــ لعدم ثقتهم بالاهالى .

وعبد الكريم الذى ادخلتموه المعسكر وعرف حقيقة قواتكم أدرك ان الموقف الحاضر ـــ خصوصا بعد ارسال نجدات الى المضايق ، موافق لهذه الحركة ، ولهذا قام يطوف على أنصاره فى بيروت وصيدا ويدعوهم للثورة .

جمال باشا ـــ وهل لديكم ما يؤيد هذه الامور ؟ . .

هنا افاد كامل بك الاسعد بان فى مقدور الباشا التأكد من هذه الامور من قائمقام صيدا ضيا بك لأنه سبق وعرض عليه هذه القضية .

وبعد الاعراب عن ولاء الاسعد وجماعته للدولة ودعه جمال باشا شاكرا اياه على شعوره الوطنى ووعده بالمساعدة .

وفى المساء نفسه ، عقد اجتماع فى غرفة أحمد جمال باشا حضره عزيز

بك رئيس المخابرات وعلى فؤاد بك رئيس اركان حرب جمال باشا وفؤاد بك سليم رئيس شعبة الشؤون المصرية وفيه تقرير توقيف جميع الاشـخاص الذين جاء ذكرهم فى افادة كامل بك الاسعد وفى تقرير ضيا بك قائمقام صيدا وتحرى دورهم والمكاتب المشتبه بها واحالة الجميع الى الديوان العرفى فى عاليه .

وفى ١٥ آب سنة ١٩١٥ اصدر هذا الديوان قرارا يتضمن الحكم بالاعدام حضوريا على الاشخاص الآتية أسماؤهم ، وهم القافلة الاولى التى اعدمت فعلا فى ساحة البرج ببيروت فى ٢١ آب (اغسطس) سنة ١٩١٥ والاسماء مذكورة بحسب تسلسل تنفيذ الاحكام واحدا بعد آخر :

عبد الكريم قاسم الخليل « بيروت » ، محمود المحمصـانى « بيروت » ، محمد المحمصانى « بيروت » ، عبد القادر الخرسا « دمشق » ، نور الدين القاضى « بيروت » ، سليم الاحمد عبد الهادى « جنين بفلسطين » ، محمود نجا العجم « بيروت » ، محمد مسلم عابدين « دمشق » ، نايف قلو « دمشق » ، صـالح حيدر « بعلبك » ، على الارمنازى « حماه » .

وقد تم دفن جميع هؤلاء الاشخاص فى حفرة واحدة فى تربة الدروز ببيروت، بعد ان نقل كل منهم فى عربة « طنبر » يخفرها شرطيان .

وبعد شهر حاولت عائلة صالح حيدر نقل جثته ، فلم تتبينها ، ثم عرفتها بعد ذلك من ثيابها ولكن آل حيدر تركوها فى مكانها بسبب انحلالها وفسادها .

ملاحظة : « ذكر لى أحد أبناء صـيدا ان الصيداويين كانوا يتناقلون فى مجالسهم سنة ١٩١٥ ان الذى اخبر السلطات العثمانية عن نشاط عبد الكريم الخليل ورضا بك الصلح ليس كامل الاسعد بل هو محى الدين كالو احد اصحاب الاملاك بالمدينة المذكورة

دور محمد الشنطى اليافى :

لعب هذا الرجل دورا خبيثا فى نقل نشاط أعضاء الجمعية اللامركزية فى القاهرة الى المسؤولين فى اسطمبول . ذلك بأنه كان احد اعضاء هذه الجمعية فسولت له نفسه الاثراء على حساب زملائه اللامركزيين فتقرب من حقى بك العظم حتى اطمأن اليه ووثق به وعهد اليه بوثائق الجمعية السرية ليسلمها الى اصحابها من المنتسبين اليها فى البلاد العربية .

ولكن الشنطى ، بدلا من ان يسلم هذه الوثائق الى اصحابها العرب ، عرج على اسطمبول وقابل وزير الداخلية طلعت باشا واطلعه على ما يحمل من اسماء ودور كل منها فى بلده . فما كان من طلعت باشا الا أن أرسله مع ما يحمل من اوراق خطيرة الى قائد الجيش الهمايونى الرابع أحمد جمال باشا وهذا تلقفه باهتمام وسهل له الاقامة باحسن فنادق دمشق على حساب الدولة .

بيد ان جمال باشا ما لبث ان قلب للشنطى ظهر المجن بعد ان علم بثرائه الفاحش عن طريق امتهان التجسس على ابناء قومه ، وامر بسوقه ، الى ديوان عاليه حيث حكم عليه بالاعدام مع بقية المتهمين فى ساحة البرج ببيروت وذلك يوم ٦ أيار « مايو » سنة ١٩١٦ ودفن مع الذين تسبب فى نكبتهم فى حفرة واحدة بتربة الدروز ببيروت .

دور القنصلية الفرنسية

وبين الرواة اختلاف فى كيفية وصول أوراق هذه القنصلية الى السلطات العثمانية .

هناك من يقول : ان رجال الحكومة فى بيروت ذهبوا الى دار القنصل الامريكى وطلبوا منه أن يسمح لهم بتفتيش دار القنصلية الفرنسية وكذلك الانكليزية لأنهما كانتا تحت اشرافه بعد سفر القنصلين الفرنسى والانكليزى فى ابتداء الحرب . فرفض قنصل أمريكا هذا الطلب لأن القنصليتين المذكورتين كانتا قد ختمتا بالشمع الاحمر .

فقال الموظفون العثمانيون ، انهم لا يريدون دخول الغرف المختومة ، بل هم يكتفون بتفتيش ما لم يختم ، فاستمهلهم القنصل الامريكى ريثما يراجع السفير بالاستانة ، وقد راجعه فعلا فأجاز السفير طلب التفتيش . وفى التفتيش عثر فى دار القنصلية الفرنسية على الوثائق الخطيرة فأخذوها بينما لم يعثروا على شيء فى دار القنصل الانكليزى لأنه لم يترك شيئا بعكس القنصل الفرنسى .

وهناك رواية أخرى تقول ان الموظفين العثمانيين فى بيروت ، دخلوا دار القنصلية الفرنسية وفضوا الاختام من على أبواب غرفها ، فأبلغ القنصل الامريكى الذى احتج ، سفير دولته باسطنبول وهذا رفع الامر للحكومة الامريكية بواشنطن التى احتجت هى بدورها فى شهر تموز سنة ١٩١٥ احتجاجا رسميا على خرق القواعد الدولية . الا أن الثابت حول هذا الموضوع هو كما يلى :

دور فيليب زلزل :

هذا الشخص من وجهاء النصارى فى قرية بحر صياف بلبنان وقد احتضنه القنصل الفرنسى فى بيروت وجعله كبير تراجمة القنصلية .

وعندما أعلنت حالة الحرب بين الدولة العثمانية وفرنسا نفى فيليب المذكور مع موظفى القنصلية المحليين الى مدينة دمشق لابعادهم عن منطقة الساحل .

ولما رأى أن ما كان وعد به مسيو بيكو ، القنصل الفرنسى ، من العودة الى سورية بعد أسبوعين لم ينفذ خشى أن تنقله السلطات العثمانية الى الاناضول أسوة بغيره من أمثاله ، فالتجأ الى قنصل المانيا بدمشق عارضا عليه التوسط لدى أحمد جمال باشا باعلان ندمه على خدمة فرنسا ورغبته فى التكفير عن سوابقه لصالح الاجانب وذلك بمأثرة يفيد منها رجال السياسة العثمانية ولا يستطيع غيره أن يقوم بها .

فاستحضره أحمد جمال باشا وسأله عن هذه المأثرة مع وعد له باعادته الى بلده بحرصاف والعفو عنه ، ان كان صادقا فيما يقول .

فقال زلزل : انه وحده يعرف مخبأ الاوراق السياسية التى احتفظ بها القنصل فى جدار من جدران احدى غرف القنصلية الفرنسية ، ودل على هذا المخبأ بالفعل ، فاذا هو مستودع أعد فى الجدار بصورة خفية ، وطلى بابه بشكل يحول دون معرفته واكتشاف ما وراءه .

« على أن المؤرخ المحقق الاستاذ محمد جميل بك بيهم أخبرني بأن المكان الذى اكتشفت فيه الوثائق كان فى أرض احدى الغرف لا فى الجدار كما حدثه عن ذلك فيليب زلزل شخصيا » .

وقد تحقق لدى الكشف من قبل السلطات العسكرية ما أخبر به زلزل . . فظهرت الوثائق التى تدين الكثيرين ومنها مضبطة موقعة من الوجهاء : ميشال توينى ، يوسف الهانى ، بترو طراد ، أيوب ثابت ، رزق الله أرقش ، خليل زينية .

وجاء فى آخر هذه المضبطة :

« . . فأقصى ما يبتغيه مسيحيو سورية هو أن تحتل فرنسا القطر السورى . .

ولهذه الاسباب يعرض الموقعون أسماءهم من أعضاء اللجنة التنفيذية بالنيابة عن مسيحيى بيروت بحسب مراتبهم ، الاقتراحات التالية ، التى يعتقدون أنها الوحيدة الكفيلة باصلاح الحالة السياسية الحاضرة بسورية .

١ — احتلال فرنسا لسورية .
٢ — استقلال ولاية بيروت استقلالا تاما تحت وصاية فرنسا وحمايتها .
٣ — ادماج ولاية بيروت بلبنان الذى يكون تحت سيادة فرنسا الفعلية »

ويلى ذلك التوقيعات المذكورة من قبل ، وكان اكتشاف هذه الوثيقة الخطيرة بمثابة رأس الخيط الذى سحبت به السلطات العثمانية كافة المتصلين بالمراجع الفرنسية ، فاعتقلت من كان تحت طائلتها وحولته الى ديوان عاليه لينتهى الى الاعدام فى ساحة البرج . وأما الذين كانوا بعيدين عن متناول يد هذه السلطات فانهم اكتفوا بتحمل العقوبات الغيابية حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عادوا الى بلدهم ليتبوأوا فى ظل الانتداب الفرنسى أعلى المراكز الحكومية وأسماها جزاء ما قدمت أيديهم من خدمات سالفة للحلفاء وأغراضهم السياسية والعسكرية .

والجدير بالذكر أن الوحيد الذى وقع بفخ الاعتقال وحكم بديوان عاليه كان الوجيه يوسف الهانى الذى ورد اسمه بين الموقعين على مضبطة القنصلية الفرنسية بينما كان بقية رفاقه الأخرين قد أفلتوا من قبضة أحمد جمال باشا فى الوقت المناسب قبل أن يفشى فيليب زلزل سره الدفين . . القاتل !!

الفتوى الشرعية :

ذكرنا فيما تقدم كيف توصل أحمد جمال باشا الى معرفة خصوم الدولة العثمانية عن طريق الأخبار السرية التى كانت تتوالى على مخابراته من أشخاص آثروا اخفاء حقيقتهم ومن آخرين وجدوا فى اطلاعه على المؤامرات والمؤتمرين قربى لله فى طاعة السلطان أمير المؤمنين .

والآن نثبت الفتوى الشرعية التى تذرع بها واعتمدها قائد الجيش الرابع الهمايونى فى تنفيذ أحكام الاعدام بالمحكومين ، وهذه الفتوى أصدرها محدث

(البقية على ص ٧٢)

بطل السويس

للأستاذ : المدني الحمراوي - الرباط

رياض ! بورك عـــرق | بمثـل نفســك جادا
دعاك للمــوت حــق | فكنت شــهما جوادا
عزيمــة الحــر صــدق | تـكاد تحيى الجمــادا
رياض شرفت جيـــلا | شــفيت فيه غليـــلا
وصرت فيــه دليـــلا | هدى وشــق الســبيلا

.. .. ..

رياض أحببت شــعبا | بفضــل مثلك يحيــا
غــداة قابلت حربــا | دهت بلادك بغيــا
تروم محقــا وغصــبا | فخاب (صهيون) ســعيا
وقفت ليثــا هصـــورا | فكنت للنيــل ســـورا
وكنت فى النـــار نورا | أضـــاء منا الصـــدورا

.. .. ..

فهب جيشــك يجـــرى | الى العـــدو غضـــوبا
ومثل فعــلك يغـــرى | بنيــل نصر قلـــوبا
شـــجاعة ولعمـــرى | غدت تفــل الخطـــوبا
جعلت روحك مهـــرا | بـــه تزوجت نصـــرا
سكنت فى الخــلد قصرا | وان توســـدت قبرا

.. .. ..

ما بين صــبح وليــل | كســبت أثمن كــنز
بروح صــدق ونبــل | أدركت أشرف فـــوز
فلم تبـــال بقتـــل | فصرت أعظـــم رمز
تركت للعـــرب مجـــدا | يفــوت فى الفخـــر حدا
وصرت فى الشـــرق فـــردا | يريه بالفعـــل قصـــدا

« كان استشهاد القائد عبد المنعم رياض حادثا ألهب شـــعور الأمة وفجر ينابيع الشعر فى شعرائها ونختار مما وردنا هذه القصيدة التى جاءتنا من الرباط بالمغرب كتحية من الشعراء للبطولة فى شخص الشهيد رياض » .

(الوعى)

اذا تلـــــــــبد بأس   رآك خـــير مثـــــال
فلا يصـــــــدك يأس   عن اعتســـــاف النزال
ففى المعـــــارك أنس   لمن يروم المعـــــالى
شـــعب العـــروبة أمسى   أشـــــد عزما وبأســـــا
اذن ســـيرجع قدســـا   ويطمس البغى طمســـا

.. .. ..

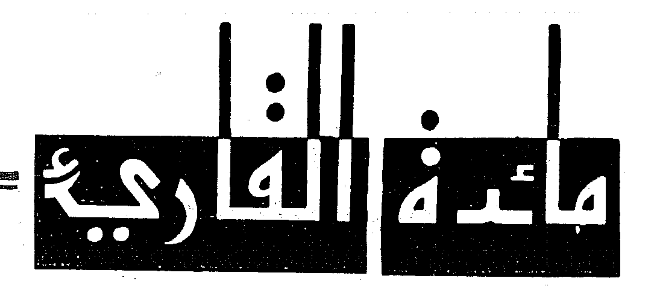
له (فلســـطين) أرض   حبيبـــة عربيـــــه
فداؤهـــا هـــو فرض   على نفـــوس أبيـــــه
فالعـــزم حـــق ومحض   والحـــرب صارت عتيــه
تلك الـــكتائب تفـــدى   حمى أضـــيع بكيد
تشـــن فى كل نجـــد   على العـــــدى حرب جد

.. .. ..

بنى العـــروبة هيـــا   صفا الى الحرب يســـعى
فكيف فى الدار يحيـــا   شـــخص يجـــاور أفعى ؟
وكيف تؤمن دنيـــا   والشر بالبـــاب أقعى ؟
ان اليهـــود وباء   على الحيـــاة وداء
صـــهيون فيها شـــقاء   والداء منـــه عيـــاء

.. .. ..

رياض فى الخـــلد أضحى   شـــهيد حـــق كريم
مضى وخلف قرحـــا   فى كل قلب رحيـــم
يقول ليـــلا وصـــبحا   خذوا بثـــأر عظـــيم
رياض شـــعبك ثارا   على العـــــدى وأغارا
وأدرك اليـــوم ثارا   محـــا عن العـــرب عارا



أعدها أبو نزار

إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

— قرآن كريم —

الأسماء الزكية

الأسماء الطيبة الزكية اجتمعت كلها للنبى . فى شخصه ، وفى أبويه ، وفى مرضعه .

فاسمه محمد ، ولم يكن هذا الاسم من الأسماء الشائعة المعروفة يوم مولده ، والذين تسموا بهذا الاسم كانوا أفراد قلائل .. قيل انهم خمسة ، وقيل سبعة ، وكلهم كانوا فى عصر النبوة وبين يديها ، وقد أدرك معظمهم الاسلام .

واسم أبيه عبد الله ، وقليل جدا فى العرب قبل الاسلام اسم عبد الله ، فما عرف العرب العبودية الخالصة لله ، بل كان ولاؤهم للاصنام التى عبدوها ، فقالوا : عبد العزى ، وعبد اللات .

واسم أمه آمنة ، ولم يكن هذا الاسم شائعا ولا معروفا فى العرب قبل الاسلام .

واسم مرضعه حليمة السعدية ، وفى هذا الاسم من المحامد والبشارات ما يلفت الأنظار وينبه الأفكار .

فأسماء الابن والأب والأم والمرضع سلمت كلها من ضلالات أسماء الجاهلية وشفاعاتها ، وبرئت من عيوبها ومقابحها ، وتزينت بأحسن ما يمكن أن تتزين أسماء من دلالات ومناقب .. وكان فضل الله عليك عظيما .

دلالات الأسماء

يقول ابن القيم : وتأمل أسماء الستة المتبارزين يوم بدر .. كيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لأحوالهم يومئذ ..!

فكان الكفار شيبة وعتبة والوليد .. ثلاثة أسماء من الضعف ، فالوليد له بداية الضعف ، وشيبة له نهاية الضعف كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) وعتبة من العتب — أى اللوم — فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم وضعف ينالهم .

وكان أقرانهم (عليا) و (عبيدة) و (الحارث) رضى الله عنهم ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم وهى العلو والعبودية والسعى الذى هو الحرث فعلوا عليهم بعبوديتهم وسعيهم فى حرز الآخرة .

تلك هى دلالات الأسماء التى أدلت بنصيبها فى هذه المعركة ، فكان النصر فى جانب الأسماء ذات الدلالة الموصية بالقوة والعزم ، وكان الانحدار للأسماء ذات الدلالة الدالة على الضعف والخور .

النبي والقمر ونحن واليهود

غرق أعرابى فى لجج الليل الضاربة فى الصحراء ، وضلت فى ناظريه معالم الطريق .. وفجأة طلع القمر ، فملأ الصحراء بوجهه المشرق .

وتطلع الأعــرابى الى القمر ، وقد ملأت الفرحة كيانه ، وجمدت الكلمات على لسانه ، فما يدرى ماذا يقول ..!

انه يود لو أن القمر منه قريب .. اذن لضمه الى صدره ، ولكن القمر أبعد من أن ينال .. اذن فلا بد من أن ينفس عن مشاعره بما يقدر عليه من صور الكلام .

فعاد يتــأمل القمر ، وتنفرج شفتاه عن كلمات أشبه بتغريدة طائرة أو قصيدة شاعر !

ماذا أقول فيك ؟

أأقول زادك الله جمالا ؟ فأى جمال بعــد هذا الجمال .

أأقول زادك الله علوا ؟ وأين ؟ وهل وراء السماء سماء ؟

ثم سكن الأعرابى فى صمت بليغ !

وموقف هــذا الأعرابى من القمر لا يكون شيئا الى حال من يقف من رسول الله موقف المطالع لسيرته الدارس لدعوته . صلى الله وسلم عليك يا رسول الله .

احذروا يهودا

فى سنة ٥٨٢م خرج أبو طالب من مكة على رأس قــافلة للتجــارة متوجها الى ســوريــا واصطحب معه محمدا ابن أخيه ، ولما أناخت القافلة أسفل جبل حوران . استضافهم بحيرى الراهب راعى الدير الذى يعلو الجبل وجزت بينه وبين أبى طالب هذه المحاورة :

الــراهب : ما هذا الغلام منك ؟

أبو طالب : انه ابنى .

الــراهب : ما هو ابنك .

أبو طالب : صدقت انه ابن أخى .

الــراهب : فما فعل أبوه ؟

أبو طالب : مات وأمه حامل .

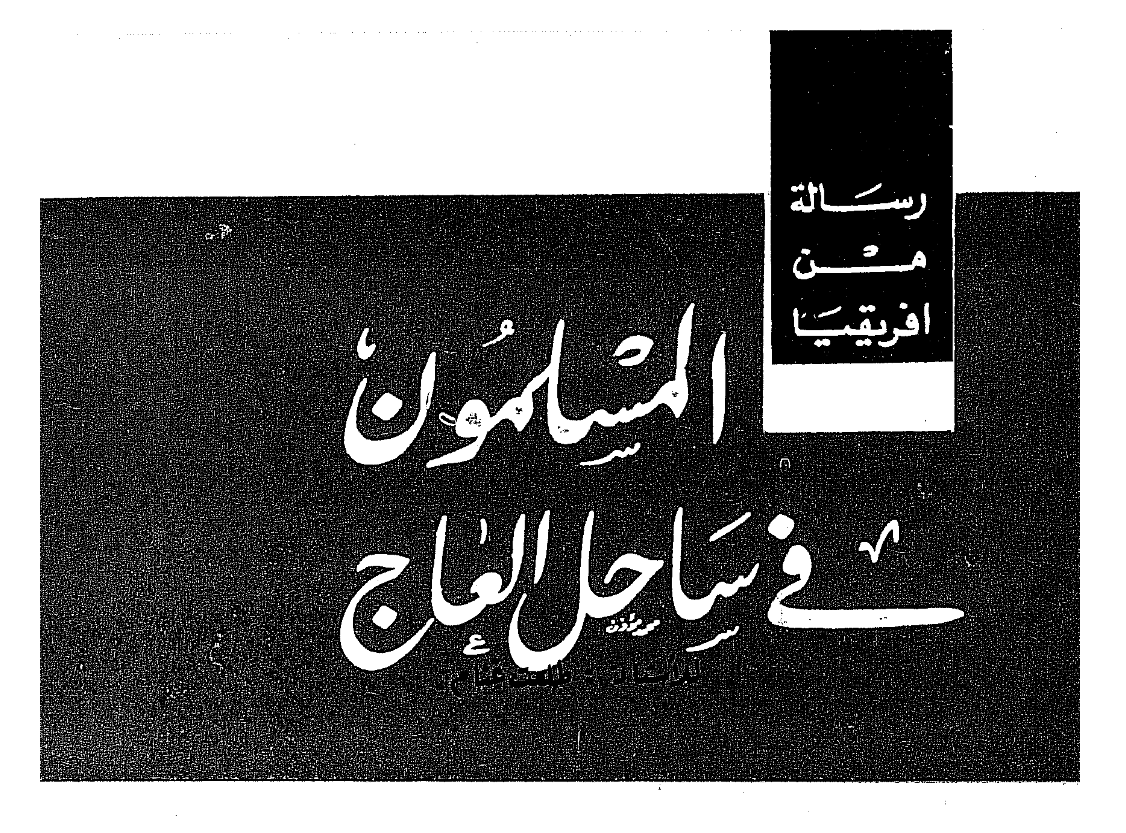
الــراهب : صدقت ، فاصغ لما أقول : ارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليــه يهودا فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغونه شرا ، فانــه كائن لابن أخيك شــأن عظيم .

هذه هى رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى الى سوريا ، أما رحلته الثانية اليها فقد كانت فى ٥٩٤م على رأس تجارة لخديجة .

أحمد ويحيي

حفظ الله سبحانه اسم يحيى من أن يسمى به أحد حتى جعله سبحانه اسما لنبيه الكريم يحيى عليه السلام (يا زكريا انا نبشرك بغــلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) .

كذلك حمى سبحانه اسم أحمد أن يسمى به أحــد حتى كان النبى الكريم محمد هو الذى يخلع عليه هذا الاسم الكريم مع أن اسم أحمد أعلن على لسان عيسى عليه السلام قبل مولد الرسول بنحو ستة قرون ، ثم ظل فى أفواه الحواريين وفى صحف الانجيل دون أن يخطر ببال أحد أن يسمى به ابنا من أبنائه على عادة الناس فى تســمية أبنائهم بأسماء النبيين والقديسين : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيــل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

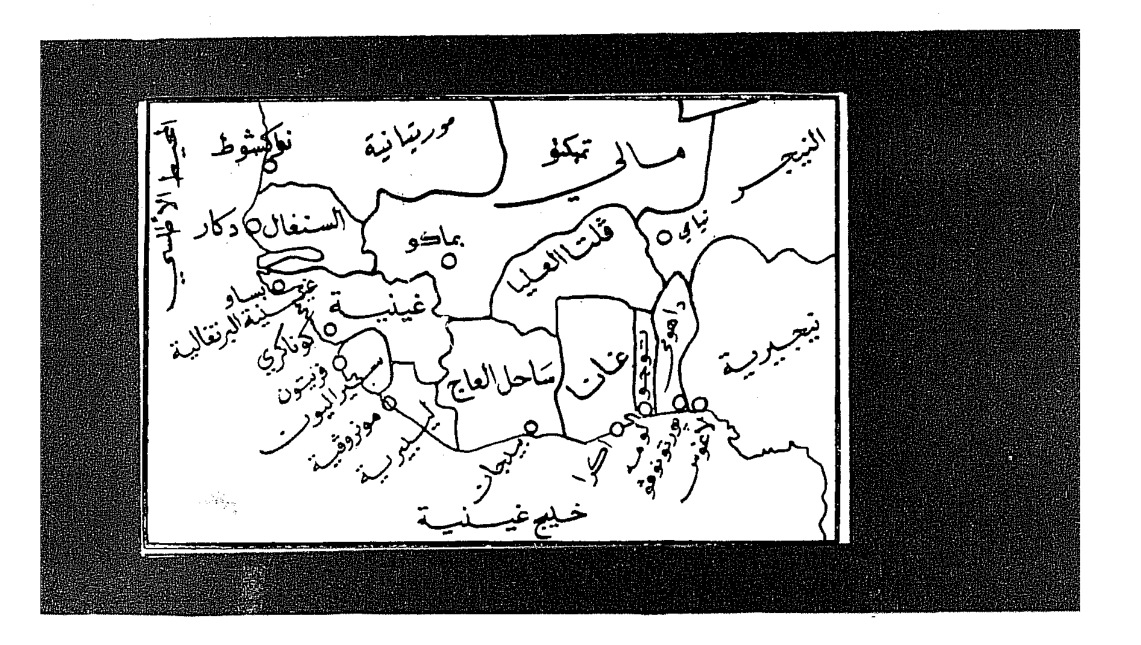


على الشاطىء الغربى لأفريقيا المطل على المحيط الأطلنطى توجد جمهورية ساحل العاج والتى يدعونها فى أفريقيا بالفرنسية (كوت دفوار) أى ساحل أو شاطىء العاج كما نعرفها فى العالم العربى ، ويجدر بنا قبل الدخول فى تفاصيل الموضوع أن نأخذ فكرة سريعة عن موقع هذه البلاد حتى يمكن للقارىء تصور مكانها وبالتالى يسهل عليه تصور حياة الشعب فيها عموما والمسلمين خصوصا .

ونحن هنا على الشاطىء الغربى لأفريقيا المطل على المحيط الأطلنطى نجول مع القارىء للمرة الثالثة فى هذه المنطقة لنتعرف على أحوال المسلمين هنا الذين يقاسون فى هذه البلاد ، ويكافحون مع الزمن والطبيعة ، وليس لهم من الحول والقوة إلا التمسك بايمانهم وعقيدتهم الاسلامية ، بالرغم من الغزاة المستعمرين والتبشير بامكانياته الضخمة ، الذى يملأ بمدارسه وكنائسه كل مكان .

موقعها :

ولنرجع مع القارىء لحظة الى معرفة موقع هذه الدولة . حيث يحدها شمالا جمهوريتا فلتا العليا ومالى ومن الجنوب المحيط الأطلنطى ، ومن الشرق منها تقع جمهورية غانا ، ومن الغرب تقع جمهوريتا غينيا وليبيريا ، ولقد كان لهذا الموقع أكبر الأثر فى تحديد نوعية الحياة والمعيشة فيها ، بل نوعية طقسها نفسه ـ حيث أن موقعها على المحيط وتسببه فى هطول الأمطار الغزيرة فى مواسم معينة ، أعطى أرضها خصوبة وجودة ، وبالتالى هيأ لها فرصة كبيرة لانتاج عدة محاصيل وغلات هامة تصدر للخارج ، وتدر على البلاد دخلا قوميا



من العمـــلات الصعبة لا بأس به .

زراعتهـــا :

ويمكن القول بأن أهم هذه المحاصيل الكـــاكاو والبن ويتـــوفران بكثرة ، وكذلك جوز الهند والفول السودانى والموز والأرز والذرة الشـامى ، ومن النباتات الشهيرة هنا (النيام) وهو عبارة عن جذر نباتى مستطيل ويشبه طعمه طعم البطاطس الى حد كبير . وكـــذلك (المنيوك) وشكله مستطيل ويعتبر جذرا أيضا كالنيام ، إلا أنه أصغر حجما ، ويشبه البطاطا تقريبا. ويستعملونه كطعـــام شعبى يدقونه مع التوابل ، ويجعلونه قطعا صغيرة مستديرة ، وهـــذان هما الغذاءان الرئيسيان الشعبيان فى غرب أفريقيا كله . ولا يطيب طعام ليس فيه بشكل رئيسى أحد هذين الغذائين .

صناعتهـــا :

كما نجـــد من الصناعات الهامة الحديثة : صناعة الصابون والسردين والتغليف والحفظ للأناناس الموجود بكثرة والبن للتصدير للخارج . كمـــا تقدمت صناعة المنسوجـــات القطنية التى كانت من قبل تعتمد على طرق بدائية قبل استيراد الآلات الحديثـــة لها ، وتعتبر مدينة (واكس) المقر والمركز الرئيسى لهذه الصناعة ، كما يتم عصر وانتاج الزيوت على مختلف الأنواع وتغليفها وتصديرها للخارج .

ولا يفوتنا التأكيد بما لعامل الطقس وسقوط الأمطـــار من أثر إذ أعطى فرصة لمساحات شاسعة أن تمتلىء بالغابات والأحراش جعلتها مرتعـــا خصبا لآلاف الفيلة التى تدر أيضا دخلا لا بـــأس به ، بعـــد أن يصطـــادها المتخصصون فى هـــذه الحرفـــة ، ويأخذوا جلودها وأنيابها التى تعتبر من أغلى أنواع العاج ، وترتكز عليه كثير من الصناعات المختلفة للتجميل

رسالة من افريقيا

والزينة والتحف النادرة . وقد لا يخلو مكان دون أن ترى فيه أثرا لهذه الأشياء . ولعلنا نستطيع أن ندرك الآن سبب اطلاق العاج على هذا الساحل حيث يوجد بشكل منقطع النظير .

الوضع السياسى لهذه البلاد

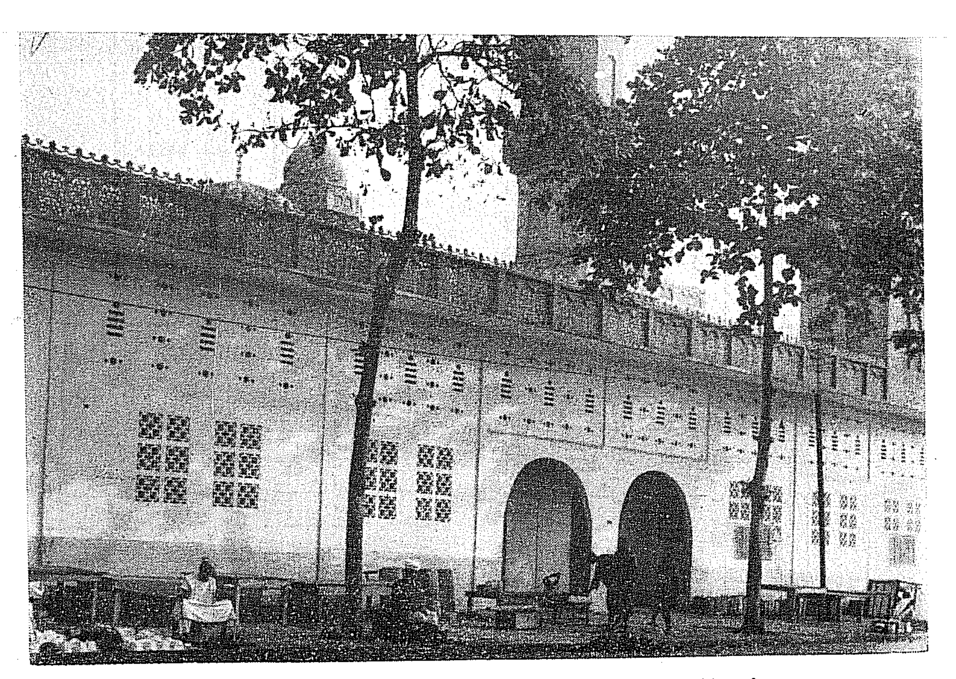
تحكم هذه البلاد حكما ديمقراطيا جمهوريا برئاسة الرئيس (فيلكس أفويه بوانيه) منذ أن حصلت على استقلالها فى سنة ١٩٦٠ من فرنسا بعد أن ظلت مستعمرة تابعة لفرنسا مدة طويلة . ويبلغ سكان ساحل العاج حوالى أربعة ملايين نسمة . ويبلغ عدد المسلمين منهم (٨٨٠ر٠٠٠) نسمة أى حوالى مليون الا بضع مئات تقريبا .

ومساحة الدولة تبلغ (٣٢٢ر٠٠٠) ثلثمائة واثنين وعشرين ألفا من الأميال المربعة .

ومن أشهر المدن بها العاصمة (أبيدجان) ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعمائة ألف نسمة . ثم مدينة بواكيه و (مـا) و دابوا . وكوروجو . وابنجورا .

أما أبرز الشخصيات الاسلامية التى تحظى باحترام الجماهير وتأييدها فكثيرون ومنهم من يشغلون مناصب سياسية هامة أمثال السيد/لانسيه كونى وزير العمل وهو من قبيلة الديناكا . والسيد/محمد كلى بالى وهو من قبيلة ماوكا ويشغل منصب وزير الاقتصاد والصناعة ، وكذلك السيد/محمد جياوارا وزير التخطيط والتصميم ، ويرجع نسبه الى بعض القبائل الغينية — ومنهم أيضا السيد/ سليمان سوسكى وهو من قبيلة ماوكا أيضا ويعمل وزيرا للبريد والمواصلات . وكذا وزير الزراعة السيد/عبد الله سواد وجو .

كما لا يفوتنا التنويه بما يدور فى هذه الآونة من بعض الاضطرابات السياسية فى هذه البلاد بين مؤيدى رئيس الجمهورية ومعارضيه ، ونستطيع أن نقول ان هذا يعد فى الحقيقة انعكاسا لما يجرى الآن فى نيجيريا الاتحادية من اضطرابات وحروب أهلية ، حيث انشقت قبائل الايبو بزعامة (أوجوكو) كبير المتمردين الذى يريد تكوين دولة مسيحية مستقلة عن نيجيريا ومنفصلا عنها ، علما أن نيجيريا حافظت على وحدتها منذ استقلالها حتى الآن . ويوجد فى الطرف الآخر قبائل الهوسا واليوربا المسلمتين بزعامة جوان يعقوب رئيس الحكومة العسكرية لاتحاد نيجيريا . وقد حدثت الاضطرابات عندما اعترفت ساحل العاج بدولة بيافرا المنشقة بزعامة أوجوكو ، حيث يوجد فى ساحل العاج كثير من قبيلة اليوربا يعملون بالتجارة ، وأدى الأمر الى قيام اشتباكات عنيفة بين أبناء اليوربا المسلمين وبعض المتعصبين لأوجوكو ، كما يقال أيضا أن معارضى رئيس الجمهورية انتهزوا فرصة اعتراف الدولة ببيافرا المنشقة ، فأخذوا يشنون الاضطرابات والاشتباكات على أبناء اليوربا للقضاء عليهم ، وطردهم نهائيا بعد نهب أموالهم وافساد ممتلكاتهم ، وبذلك يقضون على أكبر فئة يعتمد عليها رئيس الجمهورية فى انتخابات الرياسة فى كل مرة . ومنذ ذلك الوقت بدأت أفواج من اليوربا يفرون من هذه



أحد المساجد الكبرى فى ساحل العاج فى العاصمة ..

البلاد الى البلدان المجاورة نجاة بأموالهم وأنفسهم .

اللغة

كالعادة فى البلاد الافريقية نجد فى كل دولة عددا من اللغات المختلفة ، وقد يبلغ الأمر أحيانا أن تجد لغة خاصة لكل قبيلة ، وهكذا . فقد بلغ عدد اللغات فى ساحل العاج أربعا وستين لغة ، هذا بجانب اللغة الفرنسية لغة البلاد الرسمية نظرا لأنها كانت من المستعمرات الفرنسية . ولكن يوجد هناك ثلاث لغات أكثر شهرة هى : لغة ماندى ولغة كرولى ثم لغة مانكى وهى الأكثر استعمالا فى هذه البلاد .

كيف دخل الاسلام ؟

يقول كثير من الرواة ان الاسلام دخل فى ساحل العاج عن طريق المجاهد الاسلامى الكبير السيد/ ساموری توری الذی عرف بفضله وعلمه فى خدمة الدعوة الاسلامية — والسيد ساموری توری هو جد الزعيم المسلم الكبير أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا المجاورة لساحل العاج . هذا ويتعبد المسلمون وفق الشريعة الاسلامية على مذهب الامام مالك كما هو الغالب على غرب أفريقيا كلها . ولقد كان لموقع ساحل العاج بجوار دولتين اسلاميتين كبيرتين هما غينيا ومالى كان له أثر كبير فى تدعيم قوة المسلمين فكريا وثقافيا الى حد ما . كما كان لهجرة أفراد بعض القبائل المسلمة من هاتين الدولتين الى ساحل العاج ، والاقامة بها ، وتكوين فروع لها لا تلبث طويلا حتى تنشر دينها وثقافتها فى كل مكان تحل به أثر فى انتشار الاسلام .

وإن من دواعى التفاؤل بسير الدعوة الاسلامية والاطمئنان عليها فى هذه البلاد محافظة المسلمين الشديدة فى التمسك بها ، وكذا المساجد الضخمة التى تشيد بين الحين والآخر خاصة فى مدن كنج ودبكلا حيث تعتبر مساجد هاتين

رسالة من افريقيا

المدينتين مفخرة للمسلمين فى هذه البلاد .

ومن أشهر القبائل المهاجرة الى ساحل العاج من غينيا قبيلة ونجرا ولها قوة وسطوة وعادات حسنة تدعو الى الاعجاب . ذلك أنها عندما تسمع أن هناك مدرسة تبشيرية من المدارس الكثيرة المنتشرة هناك تحاول التشكيك أو النيل من الاسلام فانها تدعو الى اجتماع عاجل تقرر فيه ما ترى من المحافظة على الاسلام كسحب أولادهم أو مقاطعة هذه المدرسة واخطار بقية المسلمين بذلك .

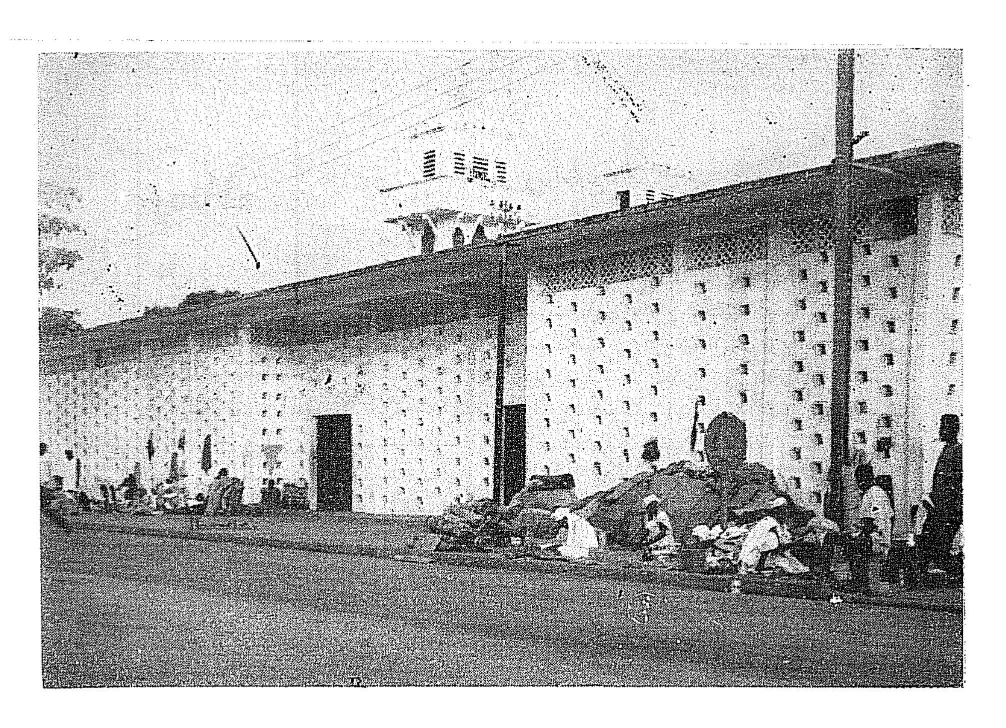
نزول الاستعمار والبعثات التبشيرية

أول من نزل من البيض الأوروبيين فى هذه الأرض رجل اسمه «هولندى» على أحد شواطىء بلدة آرسينى وكان قد حضر على سفينة ومعه أتباعه المسلحون بأسلحة حديثة تفوق تلك الأسلحة البدائية بدرجة كبيرة حيث لا يوجد فى تلك البلاد آنذاك سوى السهام والعصى الخشبية . ولقد سجل التاريخ بسطور من نور تلك المقاومة الرائعة التى أبداها الوطنيون الأفريقيون لمنع هولندى وأتباعه من النزول فى هذه البلاد ، واشتبكوا معه فى قتال عنيف ومرير كان النصر فيه للأسلحة الحديثة التى لا يعرفها الوطنيون ، ودخل هولندى البلدة على جثث وأشلاء القتلى التى امتلأت بها الطرقات والميادين حتى كاد أن يفنى جميع الوطنيين الذين يقاومونه فى كل مكان يلقونه ، بالرغم من أنهم عزل من السلاح . وبعد هذه المرحلة من النزول بدأ فى المرحلة الثانية ، وهى اكتساب الصفة القانونية والشرعية لاحتلال هذه الأراضى ، واستغل فى ذلك بعض الفقراء والجهلاء مهددا مرة ومعذبا مرة أخرى ، ثم يلوح لهم أحيانا بالوعود والأمانى ، حتى أجبرهم على التوقيع على عقود لبيع أراضيهم له ، والى رفاقه حتى استولى على جميع الأراضى ، وأصبح المواطنون الأصليون خدما وعبيدا له يستغلهم فى العمل والأرض كما يشاء .

نزول الفرنسيين :

ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا ، فبعد انقضاء عدة سنوات وصل الى بعض الشواطىء جماعة من الفرنسيين ، كان يتزعمهم رجل اسمه بنجيير ومعه تريش ولبلين ، وأخذوا يتجولون فى هذه البلاد بحثا عن الحياة ، حتى عثروا على هولندى وأتباعه فى بلدة آرسينى . ويبدو أن الفرنسيين كانوا أكثر عددا وعدة ، ذلك أن هولندى وأتباعه غادروا البلاد فورا ، بمجرد أن طلب منهم الفرنسيون ذلك ، وهكذا دانت هذه الأراضى للفرنسيين وحدهم ، واحتلوها وانتشروا فيها ، وأخذوا يقومون ببعض الخطوات العمرانية ، فأسسوا أول مدينة لهم وسموها « بنجيير فيل » على اسم زعيمهم ثم مدينة تريشفيل ، ثم « جراند باسم » فدابوا ، فمدينة آرسينى أول مدينة نزل بها الرجل الأبيض .

ثم قاموا بانشاء كثير من المبانى الحديثة ، وأشرفوا على تعمير البلاد بهمة ونشاط ، وكان الظاهر أنهم يريدون جعلها مركزا تجاريا لهم يكون سوقا رائجة لاستهلاك المنتجات الفرنسية وامتصاص صادراتها ، وموردا هاما للخامات الأولية الى فرنسا .



صورة لأحد المساجد فى ساحل العاج الذى أقامته احدى القبائل النازحة من السنغال .. واستوطنت فى ساحل العاج .

ومن المسجل أيضا أن نزول البعثات التبشيرية كان مقارنا للجماعات الاستعمارية أو مستجلبا بعده بفترة وجيزة ، حتى يتمكن هؤلاء المستعمرون من تخدير المواطنين وتهدئتهم تحت ستار أنهم انما جاءوا لهم بدين جديد ، ويريدون لهم العلم والمعرفة ، وكان القصد من هذا تكوين قواعد شعبية وثابتة لهم ترتبط مع المستعمرين برباط وثيق الا وهو الدين .

وابتدعوا لهم من الطقوس والتراتيل ما يتناسب مع عاداتهم وطباعهم ، حتى أنهم ابتدعوا لهم ألوانا جديدة من الرقصات ، التى تجذبهم الى الكنيسة ، وجعلوها ضمن الطقوس الدينية . ذلك أن طبيعة الطقس الحار تجعل من هذه المجتمعات ميالة بطبعها الى المرح والحركة حتى فى أحلك الأوقات تحت ارادة التخلص من الجمود الذى تمليه الحرارة ، ومن السأم والفراغ اللذين يعيش فيهما المرء هناك .

ولقد استغل المستعمرون تلك الظواهر النفسية استغلالا سيئا ، وبنوا جميع تصرفاتهم وفق هذه الظواهر . حتى غيروا آباء الكنيسة البيض برهبان وآباء أفريقيين ، ذلك أنهم لاحظوا الاشمئزاز والخوف والعقد النفسية من الرجل الأبيض الذى يسومهم سوء العذاب ، فلجأوا الى تدريب عدد من الوطنيين أنفسهم فترة كافية فى الخارج والداخل واعطائهم جميع الأفكار والآراء التى يريدون أن يلقنها للناس هناك ، وحتى يكون التبشير ذاتيا بين المواطنين الأصليين أنفسهم ، وذلك هو المعروف بالاستعمار الفكرى .

هذا ولقد توسعت البعثات التبشيرية توسعا ملحوظا فى هذه

رسالة من افريقيا

البلاد من الطوائف المختلفة كالبعثات الكاثوليكية والبروتستانت والأرثوذكس والجمعيات المتنوعة مثل جمعية الكتاب المقدس ، وشهداء الرب ، وقلب يسوع ، وما الى ذلك من الجمعيات الأخرى . وان القاء نظرة على عدد المدارس التى تشرف عليها هذه الجمعيات والبعثات ليعطينا فكرة واضحة الى أى حد تتوغل هذه البعثات — فلقد بلغ عدد المدارس المسجلة رسميا ألفا وثلثمائة مدرسة ، هذا عدا المدارس الصغيرة الأخرى غير المسجلة .

التسلل الاسرائيلى ؟!!

ومن المؤسف حقا أن كثيرا من الدول الأفريقية — وليس ساحل العاج وحدها — قد استطاعت اسرائيل أن تخدعها وتتسلل اليها بعلاقات ديبلوماسية واقتصادية وفنية ، وهذا ما يجب علينا أن نزيد من التنبه اليه . ذلك أنها توهم تلك الدول بأنها ستقدم اليها المساعدات والخبرات الفنية صناعيا واقتصاديا وزراعيا ، وهى فى الواقع تستغل تلك البلاد وتبتز أموالها بمساعدة الاستعمار وحمايته . فلها من الطرق الملتوية والخبيثة ما يهيىء لها ذلك ، وان نظرة عابرة على مشروع اليانصيب مثلا الذى تحمله فى كل بلد دخلت فيه يعطينا الوضوح التام لتلك الألاعيب ، فبالدعاية والاعلان وكل الوسائل المبتكرة تغرى الجماهير لشراء مزيد من هذا المشروع ، وبالطبع تحصل هى على نصيب الأسد من هذه الأموال ، التى هى فى الحقيقة أموال الشعب والدولة ، وأحيانا تصل نسبة ما تحصل عليه حوالى ٧٠٪ تحت اسم مرتبات موظفيها ودعاياتها ومصاريف وهمية . ثم تترك ما تبقى من فضلات للدولة التى تعمل بها ، زاعمة أن هذه مساعدات مادية منها ، وتحيطها بكل ألوان الدعاية وما هى فى الحقيقة إلا سارقة لأموال الدولة وتصدرها عملة صعبة الى تل أبيب ، لتشترى بها ما تشاء من أسلحة الموت والدمار للعرب الأبرياء . هذا ما تفعله فى كثير من الدول الافريقية — أما بالنسبة لساحل العاج فلقد استجلبت كثيرا من المتطوعين الذين هم فى الواقع عبارة عن جواسيس وعملاء من الجيش الاسرائيلى ، كما قامت بتكليف من الحكومة ببناء بعض المساكن الشعبية والفيلات الصغيرة للموظفين وهى طبعا تستغل فى هذا العمل كل ما تستطيع أسوأ استغلال ، كما أقامت فندقا يديره موظفون منها — ولهم مشاريع سرية وخاصة لا يطلع عليها أقرب المقربين .

الثقافة العربية

تعتبر الثقافة العربية محدودة جدا أو شبه معدومة حيث لا يوجد إلا بعض المدارس الصغيرة التى تدار بالطرق البدائية القديمة وعددها لا يتجاوز أصابع اليد . والدولة لا تعترف بها وينفق عليها بعض الخيرين من المسلمين وكذلك آباء التلاميذ مما يدفعونه كل شهر — ولقد استطاع بعض تلاميذ هذه المدارس أن يسافر للقاهرة ويلتحق بالأزهر الشريف بجانب إخوانه المسلمين هناك .

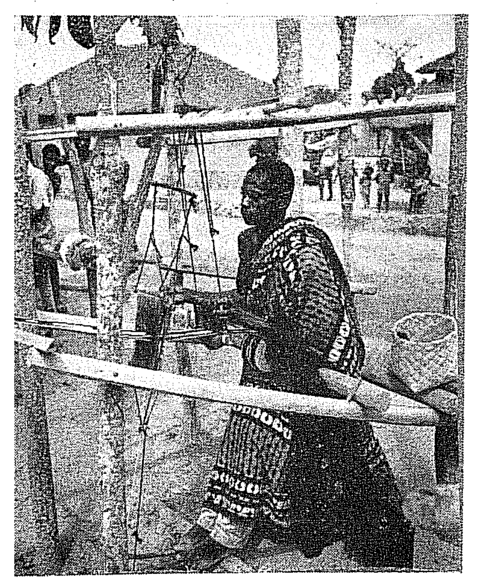
والجدير بالذكر أن هناك الآن عطفا وتفهما كاملا للموقف العربى بعد

العدوان الاسرائيلى الغادر وتبلغ الحماسة بكثير منهم فيبدى الرغبة للسفر للجهاد فى سبيل الله ضد أعداء الانسانية والدين . وهم يتطلعون بأمل وشوق الى الاتصال بالعالم العربى وثقافته الاسلامية والعربية ، اذ أن اللغة العربية وثقافتها هى فى الواقع المفتاح الحقيقى لفهم الدين الاسلامى فهما صحيحا ، بدون تحريف فى الترجمات أو التفاسير للمعانى الدقيقة . وحتى يكونوا على فهم مستمر ووعى كامل لكل مجريات الحوادث التى تدور فى هذه المنطقة الشقيقة فى العالم .

كما أن للمسلمين هنا آمالا كبارا فى أن يقوم اخوانهم العرب بجانب المساعدات الثقافية فيمدوهم بالمساعدات الفنية والمادية ، ذلك أنهم ينظرون باعجاب وتقدير للمساعدات التى قدمتها حكومات الجمهورية العربية المتحدة والكويت والسعودية والتى تم بها بناء أكبر ثلاث معاهد للثقافة الاسلامية العربية يديرها خمسة علماء متخصصين من الجمهورية العربية المتحدة من الأزهر الشريف على نفقة وزارة الأوقاف بالقاهرة — ويتمنون ذلك اليوم الذى يشرق عليهم بمثل هذه الأمنية فتتحقق وتعم المعرفة الاسلامية الصحيحة فى كل مكان .

نظرة عابرة

لا يفوتنا قبل إنهاء هذا الكلام أن ننوه هنا بما يثير انتباه كل زائر لساحل العاج ذلك هو وجود حواة مهرة لهم فى سرعة الحركة وخفة اليد ما يجعلك تصدق كل ما تراه كأنه حقيقة واقعة ليس فيها ومض من الخيال . فهناك من يلقى صبيا فى الهواء ثم يستقبله بيديه الممسكة بخناجر حادة مشرعة الى بطنه . ولا يساورك شك فى أن تلك الخناجر



صورة للنول القديم . المهنة التى كان يمارسها أفراد الشعب فى كل مكان . والتى قاربت الاختفاء بعد وصول الآلات الحديثة للمنسوجات .

سوف تشق بطن الصبى وما أن يقترب الصبى من يديه حتى يغير اتجاه الخناجر فجأة الى تحت بحركة سريعة قد لا يلاحظها أحد ثم يستقبل الصبى على ظهر يديه بهدوء طبيعى كأنه لم يكن هناك شىء ما .

وقد يدهشك أيضا وأنت تسير فى الطريق عندما ترى رجلا طويلا غريبا ، قد يزيد على عشرة أمتار والناس حوله كأنهم أقزام . واذا بك بعد سؤال وبحث وتمحيص تكشف أنه رجل عادى غير أن له أرجلا خشبية صناعية طويلة مستورة بما عليها من سراويل ، ويريد عرض ألعابه الساحرة على عامة الناس ويستطيع أن يمشى مسافات طويلة بهذا الحال .

هذه صورة عامة عن ساحل العاج وحال المسلمين فيها بصفة خاصة نرجو أن تكون قد وضحت فى ذهن السادة القراء عن أولئك الأخوة الذين يحتاجون الى كل عون وتشجيع لنصرة الدعوة الاسلامية التى يتآمر عليها الأعداء من كل جانب .

الشام الاكبر الشيخ بدر الدين الحسنى ، والد الشيخ تاج الدين الحسنى رئيس الجمهورية السابق فى عهد الانتداب الفرنسى ، وهذا هو النص :

« لقد جعل الله عز وجل لمن يعمل على ايجاد الشقاق والفوضى فى صفوف المؤمنين ، والسعى بالفساد فى الارض ، ثلاث عقوبات :

— القتل أو الصلب .
— وتقطيع الايدى والارجل من خلاف .
— والنفى من الارض .

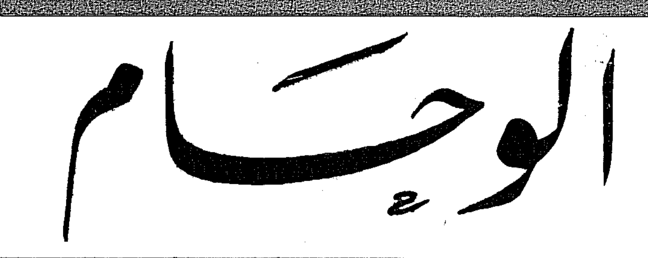
فقال جل ثناؤه فى كتابه العزيز : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض » .

مبررات أحمد جمال باشا :

ويقول أحمد جمال باشا فى مذكراته مبررا ما أقدم عليه من تنفيذ أحكام الاعدام بالذين حاكمهم الديوان العرفى بعاليه والمحكمة العسكرية بدمشق .
« لقد جعل الله لمن يعمل لايجاد الشقاق والفوضى فى صفوف المؤمنين والسعى بالفساد فى الارض ثلاث عقوبات :

القتل أو الصلب تقطيع الايدى والارجل من خلاف والنفى من الارض » ثم ذكر الآية الشريفة السابقة المبينة بفتوى الشيخ بدر الدين الحسنى .
وأردف قائلا « تكون العقوبة مناسبة لحال الجريمة ، وما يترتب عليها من الضرر بالمسلمين ومن فى حكمهم .

« والفساد والاضطراب اللذان يلحقان بالامة والدولة — ونحن الآن نخوض مع العالم الاسلامى غمار حرب تطحن الناس طحنا — وما القوم الذين يكيدون للاسلام والمسلمين ، ويدسون الدسائس لتمزيق الجماعة وتفريق الكلمة وشق عصا الاتحاد ، واخضاع الامة وكسر الشوكة ويعصون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بايجاد الفتنة بين المسلمين حتى يقتل بعضهم بعضا ، الا وباء خطرا يجب درؤه .
« .. وان تنفيذ الاعدام فى نظرى كان الوسيلة الوحيدة للضرب على أيدى هؤلاء الخونة . فان أراد قائد مثلى ليس له من الموارد الا القليل ، أن يحافظ على سلطة الحكومة وسطوتها ونفوذها ، فى بلاد سممتها الدعوة الانكليزية والفرنسية عدة سنين ، كان من أهم الامور ، أن يكون بحيث يؤمن الاهالى الملكيون بمقدرته على الاخذ بناصية أى شخص كائنا من كان ومعاقبته أشد المعاقبة .
« .. ويقيننا بأن الفضل فى عدم حدوث ثورة ما فى سورية خلال العامين والنصف عام اللذين أعقبا اعلان الشريف حسين لاستقلال بلاده ، انما يرجع الى أحكام الاعدام التى وقعت فى شهر أذار سنة ١٩١٦ » ..



الوحام بين الحقيقة والخيال

للدكتور
أحمد شوكت الشطي
جامعة دمشق

الوحام(١) فى اللغة شهوة الحبلى خاصة ، وهو أمر معروف بين الناس ومألوف عند الحبالى ، تعزى إليه بعض الظواهر فى الطفل . فما هى حقيقته العلمية ؟

لقد وافق البحث عن قضية الوحام الإنسان منذ عرف الانسان ، ويعزو بعض المؤلفين قصة يعقوب مع خاله لابان ، وظفره بأكبر عدد ممكن من الحملان ، الى أمر الوحام والقصة مشهورة ، اشترط فيها يعقوب عليه السلام على خاله أن يأخذ من صغار أنعامه نظير ما يكابده من التعب ، كل مخطط أو أرقط وأبلق يولد منها ، فأخذ قضبانا خضرا وقشر فيها خطوطا بيضا ، كاشطا عن البياض الذى على القضبان وأوقف القضبان التى قشرها .. فى مساقى الماء حيث كانت الغنم

---

(١) مفردات الوحام بفتح الواو وكسرها (من الصحاح) هو شهوة الحبلى وقد وحمت توحم وحما وهى امرأة وحمى ونسوة وحامى وفى المثل وحمى ولا حبل وقد وحمها توحيما أطعمها ما تشتهيه : و (الوحم) شدة شهوة الحبلى لشىء تأكله ويقال نسوة وحام ووحامى .

وفى « اللسان » اسم الشىء المشتهى ، وشهوة الحبلى لا تريد غيره ولا ترضى منه ببدل واصل الوحم للحبلى ، ووحم لها ذبح لها ما تشتهت ، وقيل الوحم الشهوة فى كل شىء .

ترد لتشرب ، فتوحمت الغنم عند رؤية القضبان وولدت حملانا مخططات ورقطا وبلقا . والواقع أن هذه الحادثة التى رأى بعضهم أنها ذات صلة بقضية الوحام لا علاقة لها به ، ومفسرو التوراة مختلفون ، ويعتقد جمهورهم أنها أعجوبة الهية !! ونحن بالطبع نستبعد أن يلجأ نبى لهذه الحيلة .. ولكن الحادثة تثير مسألة الوحام من قديم .

يصادف الوحام عند النسوة الحوامل ويبدو بشهوة غريبة لبعض الأطعمة ، ولكن العامة ورجال العلم توسعوا فى مدلول هذه الكلمة ، وأخذوا يقصدون بها سلسلة من الاضطرابات الهضمية والنفسية وغيرها التى تظهر عند الحامل ، وقد عمموها أيضا الى أكثر من ذلك ، فحشروا فى نطاقها بعض التظاهرات الجلدية ، والعيوب الولادية التى ترى فى الجنين .

تظهر دائما فى مبدأ الحمل اضطرابات هضمية تبدأ بالقىء ، خاصة فى الصباح ، عندما تهم الحامل بترك فراشها ، أو تستعد لتناول غذائها ، ومن صفات هذا القىء أنه لا يزعج الحامل كثيرا ، وأنها تستطيع تناول أغذيتها بعده مباشرة . وقد يأخذ هذا القىء عند بعض النساء شكلا منظما ، وأوصافا متشابهة فى كل حمل ، حتى أن المرأة تقتنع بحملها بمجرد ظهوره عندها ، وكثيرا ما يرافق الوحام ظواهر عصبية ونفسية تختلف باختلاف النساء ، فبعضهن يتعرضن لميل شديد الى النعاس ، أو قرف من بعض الأطعمة ، وميل الى بعضها ، ويبدى بعضهن اشمئزازا من بعض الروائح الحيوانية أو النباتية أو المصطنعة ، وهكذا لا يندر أن تنفر المرأة من رائحة اللحم أو من رائحة زوجها أو ولدها ، وقد تكره بعض روائح الزهور أو المياه المعطرة كبعض أنواع ماء الكولونيا وما شاكل ذلك وقد يتطلبن أمورا غريبة ، ويعتقدن بأن عدم الحصول عليها يؤذى بحملهن .. ويضر جنينهن فيسقط أو تظهر فيه بعض الآثار .

ويروى فى صدد ذلك قصص غريبة ، وسير عجيبة ، ومن النوادر التى ذكرت فى هذا الشأن ما رواه أوستاكيوس(١) الاستاذ فى « يانا » عن امرأة ولدت ابنا شبيها بالشيطان ، أو كأنه مارد من الجان ، وذلك لأن زوجها تزيا فى أحد الأيام بلباس إبليس ، واقترب من زوجته هامسا فى أذنها أنه يريد ولدا على هيئة الشيطان ، فذعرت منه ، ووضعت بعد حين ولدا كأنه إبليس اللعين .

وهكذا ما حكاه فان سويتن(٢) عن ابنة استشارته فى مرض أصابها ، فرأى على عنقها دودة ، فأراد أن ينفضها عنها ، فوجدها لاصقة بعنقها خلقة ، ولما سألها عن ذلك أجابته أن والدتها ، أثناء حملها بها ، خافت دودة سقطت على رقبتها وهى نائمة فأرعبتها ، فكانت من ذلك الدودة اللاصقة فى عنق الفتاة .

ومثله ما قاله كارليب عن امرأة سمعت ضجيجا تحت نافذتها فأطلت منها فرأت رجلا قطعت يده اليمنى بضربة سيف ، فهالها ذلك كثيرا ، وولدت ابنا ابتر اليمنى .

---

(١) مشرح شهير باسم المجرى الممتد بين الاذن والبلعوم .
(٢) عالم شهير بالأدوية .

ومن هذه القصص ما ذكره بعض المؤلفين أن امرأة أسوجية كانت تضع وردة حمراء فى صدرها وهى حامل ، فلما قدم الشتاء وخلا الورد تكدرت فوضعت ابنا ، له فى صدره شىء شبيه بوردة طبيعية ، تزداد رونقا وجمالا فى الربيع .

ومنها ما روى عن زوجة كميريوس العالم النباتى المشهور فقد وحمت امرأته على تكسير البيض فوق رأسه .. ونفذت رغبتها فى ذلك العالم السليم النية .

التحليل العلمى

وإذا أردنا تحليل قضية الوحام تحليلا علميا استطعنا أن ندرك بعض أسبابه ودواعيه ، ذلك أن عوارض الوحام على رأى بعضهم نوع من الانسمام بعناصر آحينية ونووية هيولية غريبة عن الجسم ، مصدرها صبغيات خلية الرجل المولدة . والواقع أن امتزاج صبغيات(١) خلية الرجل بصبغيات المرأة واتحاد الخليتين المولدتين اتحادا حيويا صميما يصدم الأنثى صدمة هائلة ، حتى أنه لا يترك عضوا من أعضائها إلا ويجعله معرضا لظهور آثار فيها فلا غرابة بعدئذ أن تشكو الأنثى من اضطرابات فى نفسها وفى جسمها ، تختلف شدتها وتتنوع طرق السيطرة عليها ، على أن للتلقين والإيحاء أثرا كبيرا فيها كما يبدو من حديث حامل استشارتنا بينما كنا نهم بتحضير هذا الموضوع فاستنتجنا من طرز استشارتها وتأثير القول فيها ما جعلنا نؤمن أن للقناعة صلة كبيرة بالوحام فى بعض الأحيان.

رجتنا الأنثى المتشككة فى حملها أن ننبئها عما إذا كانت حاملا أم لا ، وأردفت سؤالها الذى وجه الينا والى طبيب آخر ، راجية أن نقص عليها الخبر كما هو ، وأن لا نتركها مترددة ، فهى تريد منا أن نثبت لها الحمل أو ننفيه حتى اذا أثبتناه وحمت واذا نفيناه امتنعت ، ولما كان وحام السيدة المذكورة معروفا بشدته اشتركنا مع الزميل فى نفيه ، فكانت النتيجة سكون الأعراض التى أخذت السيدة المذكورة تشكو منها باعتبارها حبلى .

يدلنا هذا المثال البسيط الذى نقدمه على أن للحالة النفسية عند المرأة أثرا كبيرا فى أمر الوحام ، وأن التأثير على النسوة الوحامى بالاقناع وتهدئة البال أمر ذو جدوى .

هذا وكأنى ببعض الحبالى لا يخفى عليهن احترام الرجال لهن ، وخوفهم عليهن وعلى ما يحملن ، واستعدادهم لمسايرتهن فيما هو معقول ، فيستثمرون الرجل خاصة اذا كان سليم الطوية ، صافى النية استثمارا لا مثيل له ، وهكذا لا يندر أن يرى المراقب نسوة حبالى ، لا يهدأ وحامهن إلا بخاتم من الماس ، أو غير ذلك من الحلى والمجوهرات ، والأحجار الكريمة ، وكذا الثياب الأنيقة وغير ذلك من رغبات نفس الحبلى الكامنة ، التى لم تستطع الحصول عليها فى أيامها العادية ، فتجد الواسطة المناسبة للحصول عليها فى أيام حملها .. وهكذا شاهدنا نساء شفى وحامهن فى الانتقال من مصيف الى مصيف ، أو بهدايا ثمينة من الثياب الفاخرة ، والحلى النادرة وأغلى الروائح العاطرة !!

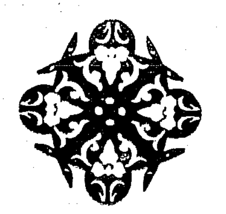
---

(١) هى عناصر صبوغة فى خلية الانسان محمولة بعوامل تسمى الجنيات يعزى اليها انتقال الصفات من السلف الى الخلف كما ينسب اليها تفاعلات حيوية عظيمة الشأن .

هذا ولنعد الآن الى أشد ما يخشاه الناس وهو أثر الوحام فى الجنين ، يزعم الناس أن استحسان الحبلى لشىء أو استقباحها له يؤذى الجنين ، إذ يظهر أثره فيه ، وهكذا إذا رأوا بقعة سوداء ذات شعر فى ناحية من نواحى الجلد قالوا بأنها توحمت على كلب ، واذا رأوا طفلا يحاكى بشكله القرود قالوا : انها توحمت على قرد مستقبحة ذلك الحيوان ، وكثيرا ما تعزى بعض الثآليل الصغيرة التى قد تشاهد على جلد الطفل الى استحسان نجوم الثريا فى كبد السماء ، ويرون فى تعادل عدد الثآليل أحيانا بنجوم الثريا دليلا قاطعا على أثر الوحام فى ذلك ، على أنه لا يندر أن تبدو فى الطفل بقع ونامیات بيض أو حمر أو بنفسجية تشابه من بعيد بعض أنواع الفواكه والخضر كالكرز والتوت والكمثرى والتفاح والمشمش والتين واللوبيا والخوخ وغير ذلك من الفواكه ، أو من أنواع الحشرات كالدود والعنكبوت والذباب ، أو ما يشبه بمنقار الطير ، أو وبر الهر ، وذنب الثور ، وغير ذلك فينسبونه الى الوحام ، والواقع ان هذه الأحوال كلها أحوال مرضية أسبابها عيوب فى الجنين أو أمور عارضة طرأت على سير الحمل .

والحقيقة أن هذه القضايا كلها وأعنى بها قضايا تشوه بعض أجزاء الطفل بسبب الوحام أو تبدل شكل الطفل أو ظهور العيوب الولادية فيه ليست صحيحة ، وهى من وحى الأوهام والخرافات ، ولا تمت الى العلم بأية صلة ، ولو كان حديث الوحام فى التشويه صحيحا لكان الجنس البشرى على غير هيئته الحالية ، لأنه فى خلال أشهر الحمل لا بد من أن تنفر الحامل من بعض الاشياء وتستلطف بعض الاشياء فلو كان ذلك مما يظهر أثرا فى الجنين لما وجد خال من التشويه الوحمى .

هذا وصفوة القول : ان الحمل يؤدى الى اندخال بيضة الأنثى بمواد هيولية غريبة عنها والى تغيرات فى مفرزات الغدد الصم ، تؤثر فى جسمها ونفسها فتشوشهما تشويشا يطلق على بعضه اسم الوحام . ظن الناس منذ قديم الزمان أن للوحام صلة وثيقة بما يظهر من التشوهات عند الطفل مع أن العلم ينفى ذلك نفيا باتا . وأما قضية الوحم بذاتها أى شهوة الحبلى لطعام أو شراب لا تريد غيره ولا ترضى منه ببدل ، وقرفها من بعض الأطعمة أو الأشربة ، ونفرتها من بعض الأشخاص فأمر مسلم به ، سببه اضطراب نفسانى مختلف الشدة ، على أنه كثيرا ما يبالغ فيه ، وكثيرا ما تؤثر فيه المداواة النفسية تأثيرا حسنا كما سبق فى الواقعة التى ذكرتها .



ما يقال عن الاسلام

للأستاذ : عباس محمود العقاد

عرض وتلخيص الاستاذ : حمدي متولي مصطفى صالح

« مشاركة من (الوعى الاسلامى) فى احياء ذكرى المفكر الكبير عباس محمود العقاد عليه رحمة الله ننشر عرضا لاهم ما جاء فى هذا الكتاب القيم الذى جمع فيه دفاعه عن الاسلام . جزاه الله الخير كل الخير عن الاسلام والمسلمين » .

صدر الكتاب عن دار الهلال فى ديسمبر ١٩٦٦ فى ٢٢٥ صفحة من القطع الصغير . وفى الكتاب حوالى ثلاثون مقالا .. قدم لها العقاد بقوله :

« كثرت بعد الحرب العالمية الثانية كتابات الغربيين فى موضوع الأمم والعقائد التى كان لها شأن فى مضطرب الأفكار والنزعات بين المعسكرين المتقاتلين .. واستتبع ذلك كثرة الكتابة عن الاسلام .. »

ويعرض العقاد أشتاتا من الكتب الغربية الحديثة الصادرة عن الاسلام والأمم الاسلامية .. ويؤكد ما فى بعضها من صدق ويرد على ما فى بعضها الآخر من ادعاءات .

ويقول العقاد : « ان النتيجة التى نستخرج منها ميزانا لما ينشره الغربيون عن الاسلام والمسلمين فى عصرنا هى تمييز المخلصين وغير المخلصين — وحصر البواعث التى تدفع غير المخلصين الى الجهل بالحقيقة واخفائها اذا عرفوها » .

فالمخلصون منهم : طلاب العلم . وطلاب العقيدة ..

وغير المخلصين منهم :

١ — المتعصبون للوطنية المغربية .

٢ — والمتعصبون للدعوة المادية .

٣ — والمتعصبون للدين عن ايمان أو عن غش واحتراف .

٤ ــ وطلاب الضرائب ودعاة الصهيونية والاستعمار .

ومن أهم القضايا الاسلامية والعربية التى عرضتها هذه الكتب وغيرها وتناولها العقاد بالدراسة والتمحيص :

١ ــ علاقة الاسلام بالمسيحية واليهودية :

وهناك فيما يتعلق بهذه العلاقة خطآن شائعان :

الخطأ الاول : كما فى كتاب : (الشرق الاوسط فى العصر الاسلامى) هو القول بأن اليهودية وفرعيها المنبثقين عنها .. المسيحية والاسلام .. مشتركات فى كثير من الامور .

والحقيقة أن مراجعة التوراة أيسر مراجعة ترينا أن اليهود تلقوا أهم العقائد الكونية والتعاليم الشرعية من تقدم أنبيائهم فى الزمن بل من الشعوب التى عاشوا بينها وكان فيها أناس من أتباع الرسل الأقدمين .

فسفر التكوين لا ينسب الى أحد من أنبياء بنى اسرائيل .. وعقائده سابقة للنبوات الاسرائيلية ــ والأسفار التالية تثبت أن الكليم كان يتعلم التبليغ من نبى عربى تسميه التوراة (يثرون) .

ويذكر كتاب (تأثير الاسلام فى العبادة اليهودية) ومؤلفه يهودى كتبه بالعبرية أن أنبياء اليهود تلقوا علم الدين وشعائر العبادة من ملكى صادق .. وبلعام .. وأيوب .. وفى تاريخ العرب من أخبار الانبياء ما ليس فى تاريخ اليهود ومنهم هود وذو الكفل عليهما السلام . وكلمة النبى نفسها لم تكن معروفة عند اليهود قبل دخولهم أرض كنعان وانما كانوا يسمون النبى بالرائى ورجل الرب على رواية العهد القديم .

ويورد الكتاب ذاته دراسة صادقة عن تأثر اللغة والأدب والحكمة اليهودية بنظائرها فى الاسلام يمكن ايجازها فى الآتى :

أ) اللغة العبرية لم تكن لهـا قواعد أو بلاغة قبل القرن العاشر الميلادى الذى تعلم فيه الربانى سعديا جاءون ثقافة العرب بمصر ووضع أول كتاب للقواعد العبرية وقواعد الفصاحة فيها ، تلاه الربانى آودنيم بن تميم البابلى ، فألف كتابه بالعبرية مقرونة بالعربية مفسرة بشواهدها وأمثالها ، ولم يكن فى العبرية فن للعروض فتعلم اليهود هذا الفن من العرب بالأندلس ومصر ، ونظموا فى لغتهم وفى لغتنا على الأوزان العربية .

ب) الفيلسوف اليهودى (موسى بن ميمون) تلميذ الفلاسفة المسلمين فى المغرب أول مَنْ كتب عن اليهود فى كلمة التوحيد واستثنى موسى بن ميمون المسلمين من الامم التى تنهى التوراة عن التعود بعاداتهم لأنهم مؤمنون موحدون .

جـ) اقتداء اليهود بالمسلمين عاد بهم الى احياء السنن التى هجروها من عبادتهم الاولى وعلمتهم سننا أخرى لم يعلموها ومنها شعائر فى صميم العبادة كشعائر الوضوء والغسل والصلاة الجامعة وغيرها من الصلوات .

د) كان قضاة الشرع المسلمين مرجعا للشعب اليهودى ــ ورجال الدين اليهودى على السواء فى حل كل الشئون غير الملية .

هـ) النسك الشرقى نتاج مدرسة ابراهيم الميمونى بن موسى بن ميمون وزميله الحبر ابراهيم الحسيد ، وجذوره مستمدة من البيئة الاسلامية ومتأثرة بالمتصوفة المسلمين .

وقد استعمل ابراهيم الميمونى كثيرا من العبارات الاسلامية مثل : الاخوة فى سبيل الله ، تسمية الله برب العالمين ــ تسمية المسالك الصوفية بالاحالات والمقامات ــ الاقتداء بالامام الغزالى فى تعريف المتصوفة فى كتابه (المنقذ من الضلال) بأنهم هم الذين يسيرون فى طريق الله ــ اشارته الى ابراهيم الحسيد بأنه سيدنا وخيرنا كرم الله وجهه . وابراهيم الميمونى يفرق بين المتصوف الحق والدعى فيقول :

((ان التصوف لا يكون بلبس الصوف ولا بملازمة الصوامع ولا باتخاذ أزياء الفقراء ولكنه طهارة وزهد واخبات الى الله)) .

وأخيرا يتضح التأثير الصوفى فى تنويه الميمونى بالبكاء التعهدى فنحن لا ننسى أن الزهاد الاول فى الاسلام كانوا يسمون بالبكائين ــ فالبكاء هو غاية التهيؤ للصلاة كما قال الميمونى .

فليست اليهودية اذن أصلا لفرع هو الاسلام — بل انها فرع من أصـــل قديم بل من عدة أصول .

وما أبعد الفرق بين اليهودية والاسلام فى أصول الايمان :

فالله فى اليهودية اله قبيلة واحدة مختارة — وفى الاســـلام اله الخلق أجمعين الذين لا يتفاضلون بغير التقوى .

والنبوة فى اليهودية صناعة خوارق وكشف خفايا ومفقودات .. وفى الاسلام رســـالة هداية وتبليغ الى العقل والضمير .

وفى اليهودية يلحق الجزاء بالخلف البعيد انتقاما من جنايات الأجداد والاسلاف .. وفى الاسلام لا تزر وازرة وزر أخرى .

وأخيرا فان الهيكل اليهودى هو الذى يتقبل القربان الذى لا يقبل بغير وســـاطة الكهان والاحبار .. بينما فى الاسلام لا معبد ولا كهانة .. وأينما تكونوا فثم وجه الله .

ويكفى أن نسمع الحكيم الانجليزى صمويل جونسون فى قوله :

« ان المسيحية والاسلام فى عالم العقيدة هما الديانتان الجـــديرتان بالعناية وكل ما عداهما فهو بربرية » .

٢ — عوامل نشأة الاســـلام وأثر الظروف الاقتصادية فى ذلك :

ليست الحوادث الكبرى عند مونتجومرى وات — معزولة عن العوامل الاقتصادية — ولكنها تختلط بها وتؤثر فيها دون اهمال العـــوامل الروحيـــة وعوامل العقـــائد والموروثات الفكرية .

وأهم وجهات النظر فى كتابه (الاسلام والجمـــاعة المتحدة) أن المعركة بين محمد صلى الله عليه وســـلم وبين كفار قريش لم تكن معركة دعوة تجديد ودعوة محافظة على القديم بل كانت معركة بين حركتى تجـــديد متعارضتين .

لقد كان كفار قريش يتحولون من معيشة البداوة الى معيشة الحاضرة التجـــارية ، ويستزيدون من كل لون من (المتعة الحسية) ، وتتحول بهم ثرواتهم من أخلاق فرسان البادية الى أخلاق السادة المنغمسين فى الحاضرة .

وهكذا لم يكونوا هم ولا عبيدهم محافظين على القديم كما زعموا ، لاقناع أنفســـهم بمحـــاربة الدعوة المحمـــدية وفاء لآبائهم ومعبوداتهم .

أما التغيير الذى جاءت به الدعوة المحمدية فقد أفلح واســـــتقر ، لأنه أعطى النفس الانسانية كما أعطى الجماعة كلها — حياة — أفضل من حياتها ، وغاية أحق بالسعى اليها من غاياتها .

فليس متاع الحيـــــاة الدنيا غاية حياة الانسان ، لأن متاع الحياة الدنيا غرور وضلال بغير الباقيات الصالحات .

وليس المجتمع الانســـــانى سوقا للسادة والعبيد — ولكنه أمة تهتدى بامام واحد ، أو امامة واحدة ، وقبلتهـــا الخير والتقوى . والتقوى يتساوى فيها العاملون الصـــالحون ولا يستأثر بها صاحب الثروة والسطوة .

ويقول (مونتجومرى) ان فكرة الامة فى الاســـــلام فكرة غير مسبوقة — وهى تجمع المســـلمين جميعا فى وحدة تذوب فيها كل الحواجز — وكانت العقيدة الدينية ضرورية لخلق فكرة الامة بهذا المعنى .

ويرى العقـــــاد مع مونتجومرى أن معنى (الأمة) فريدة وليس له مرادف بمعناه فى لغة من اللغات قبل ولا بعد الاسلام .

فكلمة أمة Nation مأخوذة فى أصلها من معنى الولادة ، ومفادها أن الولادة فى مكان واحد هى الرابطة التى تكسب أبنـــاء الوطن حقوق هذه الوحدة الاجتماعية .

وكلمة Peoble تقابل كلمة شعب بالعربية ويرجع أصلها الى السكن والاقامة .

وكلا المعنيين : الولادة والسكن — قاصر عن الدلالة على القومية بمفهومها الحديث ،

وأصح منها أن تكون رابطة الأمة هى رابطة الاشتراك فى وجهة نظر عامة ، كما سبقت بها دلالتها فى القرآن .

واستقبال الجهة أصيل فى كثير من الكلمات التى تفيد معنى الوحدة الاجتماعية باللغة العربية ، مثل القبيلة — الفئة ، القوم .. ولكن كلمة الأمة هى الوحيدة التى جاءت فى القرآن الكريم فى معارض كثيرة لتفيد معنى الجماعة الكبرى التى تحيط بشعوب كثيرة .

٣ — الاقتصاد فى الاسلام :

مما يؤخذ على الاسلام فى الكتابات الغربية أنه دين تشريع ومعاملات ، ولكنه لم يأت للناس ، بنظام مفصل للشئون الاقتصادية :

واذا كانت أحوال المعيشة الاقتصادية تتقلب من زمن الى زمن ، ومن أمة الى أمة ، فخيرا فعل الاسلام اذ أقام قواعد الاقتصاد التى يقام عليها كل نظام صالح ، ولا يتصور أنها تناقض نظاما منها كان بالأمس أو يكون بعد زمان طويل أو قصير .

فقد قرر الاسلام أن يمنع الاحتكار وكنز الاموال .. وأن يمنع الاستغلال بغير عمل — وأن يتداول المجتمع الثروة — ولا تكون دولة بين الأغنياء .. وقرر أن تكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية لا تقل ٫٤/١ من ثروة الأمة كلها .. وقد يزاد عليها بأمر الامام واحسان المحسنين ..

واذا تقرر هذا فى مجتمع انسانى فلا حرج عليه أن يتخذ له نظاما اقتصاديا كيفما كان وتحت أى اسم من الأسماء .

وممن يحمد لهم توضيح هذه القضية .. ليوبولد فايس النمساوى الذى أسلم وتسمى باسم محمد أسعد .

وهاملتون جيب يؤكد (اننى لا أرى أية علاقة فى الشرق الاوسط على احتمال قريب لقيام دولة شيوعية .. أو قيام دولة ديموقراطية من طراز أية دولة غربية ، ولا بد لكل هيئة من هيئات الحكم فى العالم العربى يراد لها الاستقرار المعقول أن تجمع بين ارضاء الشعور العربى والشعور الاسلامى فى وقت واحد .

٤ — نظرية الحكومة والدولة فى الاسلام :

يزعم هـ. ن. شرابى فى كتابه (الحكومات والسياسة بالشرق الاوسط فى القرن العشرين) أن ليس فى الاسلام نظرية مستقلة للحكومة — اذ كل ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل فى نطاق الديانة ، فلا فاصل بين الدينيات والدنيويات . ومن الوجهة السياسية تتسم الجماعة الاسلامية بسمات أربع :

أ) أن الله رأسها .. والقرآن كما تنزل على النبى دستورها الوحيد .

ب) ان كلمات الله هى الشرع الوحيد ، وليس للجماعة أن تجرى لها شرعا غيره .

جـ) ان وظيفة دستور الحكومة وشكلها وأحكامها أبدية ، ولا يمكن تغييرها كيفما اختلف الزمان والمكان .

د) ان الغاية من الحكومة هى اقامة الدين وتنفيذ كلمات الله .

ويضيف المؤلف : « ويتضح من هذا أن الشريعة وهى جملة الأوامر الالهية — ليست قانونا بالمعنى المفهوم من القانون فى العصر الحديث — ولكنها قضايا معصومة ترسم للمسلم أحكام سلوكه فى حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا وفى الاسرة والبيت » .

ونستطيع أن نوجز الرد على هذا الافتراء فيما يلى :

أ) هل للدستور أو القانون على الاساس الصحيح فى كل صورة من صوره قاعدة تخالف فى جملتها ما أورده « هـ. ن. شرابى » عن الاسلام وما يعيبه عليه ؟ الرد لا .

ب) هل يصل المؤلف ببحثه يوما الى دستور وضعى قديم بدأ العمل به فى أمة بجميع تفصيلاته وتعديلاته دفعة واحدة ؟

الرد لا .

جـ) هل فى دستور العالم دستور لم يقم على قواعد ثابتة لا تتغير بعد وضعها نصوص المواد والقوانين المتفرعة عليها ؟ الرد لا .

د) ألا يوجد من الدول الحديثة دولة تعتمد على دستور لا تقبل قواعده التغيير ، وان تغيرت المواد المتنوعة والتي لم تكتب بتفصيلاتها حتى اليوم ؟

الرد بالايجاب .. فهناك بريطانيا أقدم الأمم الديموقراطية عملا بالحكم النيابى .. وهناك ايطاليا ودستورها أيضا مبادىء عامة .

هـ) اننا لا نغير حرفا من نظام الحكومة الاسلامية اذا قلنا على هذا المنوال :

١ — ان قواعد الحكم كلها منصوص عليها فى آيات القرآن الحكيم .

٢ — ان الامام يتولى الحكم بالبيعة .

٣ — ان الاسلام يوجب على المسلمين أن تكون فيهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومنها (أهل الذكر) الذين يسألون عن أحكام الذكر الحكيم .

٤ — ان الحياة التشريعية موزعة بين الامام وأهل الذكر واجماع الأمة أو ما هو فى حكم الاجماع .

٥ — ان أحكام الشريعة الاسلامية تنفذ فى كل زمان وفى كل مكان ولا يعلق تنفيذها أو يؤجل الا وفاقا لسيادة التشريع .

٦ — ان الفرد حر مسئول .

٧ — ان مصلحة الأمة أساس فى تطبيق الشريعة وفى وضع الاحكام التى لم تذكر بتفصيلاتها وعوارضها فى آيات الكتاب .

٨ — ان المجتمع الاسلامى ينكر احتكار الثروة ، ويحرم الربح بغير عمل ، ويقرر من ثروة الأمة كلها حصة للعجزة والمحرومين .

ان الحدود الجنائية لا تعطل أبدا الا لعلة واضحة من علل الضرورات والشبهات .

٩ — ان هذه الضرورات والشبهات مرجعها كله الى حق السيادة المطلق ، وهو حق الامام الراعى وأهل الذكر والرأى المتفق عليه بين جمهرة الرعية .

هذه هى حقيقة الدستور الاسلامى ، وهو ليس بدعة فى الدساتير التى تصلح للتطبيق ، تنتظم عليها أمر الجماعات الانسانية .

٥ — الجهاد فى الاسلام :

يعتبر العقاد أن أسرع وسيلة لاختبار مدى حسن النية والفهم لدى الكتاب الغربيين عن الاسلام هى مجمل آرائهم عن الجهاد فى الاسلام ، فانه الامر الذى شاع على السماع بين غير المسلمين ، ففهموا منه أن شريعة السيف وشريعة الاسلام شىء واحد .

إغير أن بعض الكتاب المنصفين لا يقعون فى هذا الخطأ .

١ — فالدكتورة أليس ليختنستادتر تقول ان النظرية الاسلامية فى القرون الوسطى تقسم العالم الى قسمين .. دار الاسلام ودار الحرب .. فالأولى تشمل البلاد التى انبسط عليها سلطان الاسلام عقيدة وحكما .. والثانية

تشمل البلاد التى يصح نظريا فتحها للاسلام ولو بالسيف اذا اقتضى الحال .

وتضيف فى كتابها (الاسلام والعصر الحديث) ان كلمة (الجهاد) مشتقة من الجهد أو المشقة ولذلك سمى الفقيه أو القاضى حتى الآن مجتهدا — وقد أمر القرآن بجهاد الكفار ولم يعين الجهود التى تبذل لذلك — ودار الحرب وان كانت نظريا خاضعة لحكم الفتح ، الا أن الخلفاء والسلاطين عقدوا المحالفات وعهود السلم منذ عهد هارون الرشيد وشرلمان .

وأكدت أن انتشار الفتوح فى القرن الأول كان بالتسليم والصلح أكثر من القتال ، وان الاسلام منح أهل الكتاب المغلوبين حق الاحتفاظ بعقائدهم وشعائرهم بشروط غير مرهقة — وتدلل على ذلك بأن الوثنيين كانوا أكثر الداخلين فى الاسلام فى القرون التالية رغم

أنهم لم يعرضوا على السيف على قول الفقهاء المسلمين .

٢ ــ ارنولد توينبى .. وهو أسلم المفكرين الغربيين نية عند الكلام عن الاسلام ولكنه أقدر على الاحاطة بالحوادث والمواقف الاجتماعية العامة منه على الاحاطة بأسرار المعظمة فى الشخصيات النادرة فيقصر غاية القصور فى فهمها (وسيرد توضيح ذلك عند الكلام عن الذات المحمدية) .

يقول توينبى أن التخيير ببلاد الروم والفرس لم يكن بين الاسلام والسيف ، بل بين الاسلام والجزية وهى الخطة التى استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك فى البلاد الانجليزية على عهد الملكة الياصبات .

٣ ــ توماس كارليل : الذى يعتبر أن الزعم بأن الاسلام قد انتشر بالسيف سخف وباطل ، كبطلان القول بأن رجلا واحدا حمل سيفه وخرج الى جميع مخالفيه ، ليبعث فيهم الخوف من سيفه وحده ، ويسوقهم كرها الى اعتقاد ما ينكرون ، فيعتقدونه ويثبتون عليه ، ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين .

٤ ــ رشبروك وليامز فى كتابه (دولة الباكستان) حيث يعلل حركات المسلمين فى الهند مع بريطانيا بأنها وليدة البحث (عن وطن يستطيع فيه المسلم أن ينطلق من قيود المستغلين وحسب ، بل هى وليدة السعى الى اقامة بلاد تسود فيها آداب الاسلام وتمنع فيها ظلم الاغنياء للفقراء ، ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعى التى يتعلمونها من سماحة الشريعة) ويؤكد فى كتابه أنه فى الدولة الاسلامية (الحاكم لا يملك أن يستأثر بالسلطة على أى وجه من الوجوه مستندا الى نصوص القرآن) .

٦ ــ الرق فى الاسلام :

لا يتفق الماديون والمبشرون المحترفون الا فى الرغبة فى تشويه سمعة الاسلام والمسلمين خاصة فى أفريقيا ــ باعادة القول بأن العرب المسلمين قد احتكروا النخاسة قديما وحديثا . والخطأ فى ذلك واضح : ــ

١ ــ فالماديون والمبشرون أول من يعلم أن النخاسة كانت صناعة شركات أوربية وأمريكية ذات سماسرة من غير العرب والمسلمين .

٢ ــ الأديان جميعا قبل الاسلام أباحت الرق .. أما الاسلام فقد شرع العتق وندب المسلمين الى فك الاسار عن الأسرى وجعله فريضة من فرائض التكفير عن ذنوب كثيرة .

فقد أوجب الاسلام قبول الفداء مع استحسان فك الاسار بغير فداء ، وفرض تحرير الرقاب على من يقتل خطأ ، ومن يحنث فى يمينه ، ومن يظاهر من زوجه ، كما جعله من مصارف الزكاة ((وفى الرقاب)) .

٣ ــ لم يبق الاسلام من قيود الرق الا ما هو باق الى اليوم ، باتفاق الدول ــ فالقوانين الدولية اليوم تبيح تسخير الأسرى واعتقالهم الى أن يتم الفداء ، بتبادل الأسرى ، أو ببذل التعويض الذى تفرضه الدول الغالبة .. وقد سبق الاسلام دول الحضارة فى ذلك بأكثر من عشرة قرون .

٤ ــ ان خطوات الحضارة الحديثة الى تحرير الأرقاء قد جاءت على النحو التالى :

أ ــ مطالبة أصحاب الصناعات الذين يستعملون عمالا أحرارا بأجور عالية بضرورة تحرير الأرقاء الذين يستعملهم منافسوهم ولا ينفقون عليهم أجورا .

ب ــ احتياج الدول الى تجنيد الأرقاء والى أصواتهم فى الانتخابات حملها على تحريرهم .

جـ ــ الخوف من أن يستمال السود الأفريقيون الى المعسكر الشرقى فيما لو بقى نظام العبيد على ما هو عليه .

أما الاسلام فقد أنصف الأرقاء اختياريا بغير اضطرار .. ولم تكن قضية الرق عنده كما هى عند الحضارة الاوروبية ــ قضية مساومة واضطرار ، وحيلة من حيل السياسة والادارة ، وخطة من خطط التأجير والاستغلال .



للأستاذ : أحمد محمد الصديق
جامعة أم درمان الاسلامية

كانت الشمس مشرقة ، والسماء صافية ، بينما كان الصوت الربانى المضىء يرتفع من حول الكعبة ، مرددا تلك الكلمات الرائعة والعبارات الخالدة :

لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

ويتجاوب هذا النشيد العذب فى أجواء مكة ، أشبه بتسبيح الملائكة ، تتداح أصداؤه على السفوح والجبال المجاورة ، فلا تدع بيتا من بيوت مكة الا دخلته .. وقريش بكبريائها الجريحة .. تتجرع مرارة الهزيمة ، وتلوك غيظها المكتوم .. هالعة مشـــدوهة مما ترى وتسمع ، ولا تكاد تصدق ما يجرى من أمر هؤلاء المسلمين الذين يدخلون مكة فاتحين .. تحت قيادة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

* ... * ... *

ويمر رجل .. عربى أسمر الجبهة ، نحيف البنية ، ضامر الوجه ، حاد النظرات .. كأن فى نفسه شيئا مبيتا ، أو مكيدة مدبرة ، يحرص على اخفاء أمرها وكتمان سرها .

ويسأله رجل من قريش :
— الى أين يا فضالة بن عمير ؟

ويلتفت فضالة الى مصدر الصوت بشىء من الريب ، وقد أحرجه السؤال ، ثم لا يلبث

أن يطمئن الى الرجل ، وقد علم أنه لا يزال على دينه الوثنى ، وأنه من الحاقدين على محمد وصحبه ، ويتمنى لو يقوم من قريش رجل فيه نخوة وحمية ، فيثأر لقريش ولآلهتها المحطمة ، التى طالما عكفوا عليها وطافوا بها وقدموا لها القرابين ! ..

ويهز فضالة رأسه مقتنعا بضرورة المضى لشأنه ، ثم ينظر الى الرجل نظرة المصر على عمل ما ، ويقسم قائلا : واللات والعزّى ، لأجعلن من يومى هـــذا تاريخا يروى وتتناقله الأجيال ..

— وماذا أنت فاعل يا ابن عمير ؟!

— سأفعل ما عجزت عن فعله العرب حتى اليوم ..

ويبتسم الرجل وقد أدرك مقصد فضالة ، أو خيل اليه أنه أدرك ، ويقول :

— لا شك أن ما عجزت عنه العرب حتى اليوم هو القضاء على دين محمد وعلى محمد نفسه ، الذى سفه أحلامنا وسب آلهتنا ، ولم يزل حتى امتدت اليها يداه ، فهشـــمها وألقاها على الارض جذاذا .. ثم يزعم بعد ذلك أنه نبى يتلقى الوحى من السماء ..

ويضرب فضالة بيده على كتف الرجل قائلا :

— سأمضى فى سبيلى لا ألوى على شىء .. وسيعلم أصحاب هذا الدين الجديد أن لآلهة قريش من ينتقم لها ، ولا يستكين على ضيم ..

* ... * ... *

ويحك يا فضالة بن عمير ! ..

ما بالك ؟! .. وما يثير حفيظتك ؟! ..

لم لا تدخل فى حظيرة الايمان ، وتصبح واحدا من أولئك المسلمين ، الذين يرجون من الله تجارة لن تبور ..

ولكن قاتل الله الهوى والشيطان .. وحمية الجاهلية الرعناء ..

* ... * ... *

ويتحسس فضالة الخنجر الذى أخفاه تحت ثيابه .. ويمضى نحو الكعبة حيث يحتشد المسلمون حول قائدهم العظيم ونبيهم الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — وحيث ينوى فضالة أن ينفذ جريمته النكراء ..

ويتوقف فضالة فى منتصف الطريق ، وقد هاله ذلك الحشد من المسلمين ، وجوههم مشرقة ، وأعينهم تفيض من الدمع ، وألسنتهم تلهج بالحمد لله والثناء عليه أن صدق نبيه الرؤيا بالحق ، فدخلوا المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوســـهم ومقصرين لا يخافون .. وها هم الذين كانوا يتحرقون شوقا الى مبيت ليلة فى مكة بين شامة وطفيل .. وحولهم اذخر وجليل .. ها هم أولاء اليوم يبلون شوقهم فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وقد طوّفوا بالبيت العتيق ، واستقوا من ماء زمزم ، وكانوا حزب الله الغالبين ..

توقف فضالة قليلا ، تتناوبه الانفعالات ، وتتجاذبه شتى الدوافع والأفكار ، فيتصور الأمر هينا تارة ، وخطيرا تارة أخرى ، وانه ليطمع أن يعلو نجمه ، ويصبح حديث الناس فى كل منتدى ، نظرا لعمله البطولى الذى سيأتيه ، الا أن هذه البطولة المكتسبة قد تكلفه حياته اذا هو أخفق فى مهمته ، بل وحتى لو أفلح فيها ، فانه لن يفلح فى الفرار ، ولن

يفلت من أيدى المسلمين .. وتتملكه مشاعر ووساوس غريبة ، ويفزعه شبح الموت حين يتخيل نفسه وقد جندل صريعا تحت ضربات السيوف ..

ويضيق الفضاء فى عينيه ، وتغيم الرؤى فى مخيلته .. ويستولى عليه هم شديد ، ثم سرعان ما يجد قدميه تسوقانه من حيث لا يدرى الى وجهة أخرى ، الى مكان مألوف لديه ، الى بيت امرأة من النساء اللائى يحترفن الهوى ويتاجرن به .. لقاء ما يتقاضين من أجر لا يساوى شيئا مما يفقدنه من قيمة انسانية ، وما يعن من متاع الشرف والعفاف .

اعتاد فضالة بن عمير أن يحادث واحدة من أولئك النسوة ، ويسامرها ، ويقضى معها الاوقات الطوال لا يحس بها كيف تتصرم .. فقد شغفته حبا ، وأنس بحديثها ، وربما نال منها وطره .. ولا حرج عليه ..فشرعة الجاهلية تبيح له ذلك بل وتعتبره أحيانا من تقاليدها .

ويقول فضالة فى نفسه : لا بد أن أذهب الى تلك المرأة أستشيرها فاننى فى حيرة وارتياب .. أأمضى فى سبيلى ، فأتابع خطتى الى النهاية ؟! .. أم أدع الأمور تجرى فى مجاريها ، وأنتظر من أمر الناس مع هذا الدين الجديد ما يكون .. خاصة وانه قد ظهر وانتشر ، وبات من العسير ان لم يكن من المستحيل القضاء عليه ؟ ..

ويمشى قليلا .. لعله يجد عند تلك المرأة ما يسرّى عنه الهم ، أو لعلها تشير عليه بالحل الشافى والجواب المقنع .. ولكنه يتردد .. ثم يعن له أن يجلس فى ظل جدار قريب ، يفكر فى أمره ، ويقلب الرأى على وجوهه ..

* ... * ... *

كانت الشمس قد حمى أوارها ، وارتفعت فى كبد السماء كقرص فضى لامع .. فانعكست أشعتها المتوهجة على الصخور الملساء فى جبال مكة القاحلة الماحلة .. المحدقة بها من كل جانب ، تحبس عنها الهواء فتزداد نفس فضالة ضيقا وبؤسا ، ويشعر بالحاجة الملحة الى من يخفف عنه العبء ، وينفس الكرب .. ويرفع يده ليجفف بطرف كمه العرق المتفصد من جبينه ، وقد بدا له أن بيت المرأة الذى يقصده قد أخذ يبتعد شيئا فشيئا عن متناوله ، رغم قربه منه ، نظرا لهذه الأزمة النفسية التى يعانيها ، وذلك الهم المسيطر عليه ، حتى ليكاد ينسى ما هو مقدم عليه ، ويغفل عن اليمين التى أقسمها فى أن يثأر لكرامة قريش ، وينتقم لآلهتها التى كبكبت فى فناء الكعبة مهينة مستحقرة ..

وأخذ فضالة يفكر : ان أهل مكة قد بدأ يشيع بينهم الاطمئنان .. ويهدأ روعهم لما رأوا أن محمدا — عليه الصلاة والسلام — لن يمسهم بسوء ، وأن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مسلمين ان هم الا طراز جديد من الناس لم يعهده أهل الجاهلية من قبل .. ولو كان الأمر غير ذلك .. وكانت قريش هى الفاتحة المنتصرة ، لأريقت الدماء ، وأزهقت الأنفس وفسدت البلاد ..

واذا كان الأمر كذلك ، فما بال ابن عمير ؟! لم لا تطمئن نفسه كما اطمأن سائر الناس ويعترف بالأمر الذى علت كلمته على الحق كما اعترفوا ؟! ..

طالما تحدثت قريش عن هذا الخطر الذى يتفاقم يوما بعد يوم من ناحية يثرب ، متمثلا فى هذا الدين الجديد ، حتى وقر فى نفس فضالة ، وفى نفوس الكثيرين : أن هذا الدين لا سبيل الى مقاومته الا بالقضاء على صاحبه الذى بشر به أول مرة ، ودعا الناس اليه ..

وتمر فى مخيلة فضالة صور كثيرة من صور الحرب العنيفة التى شنتها قريش على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل الهجرة وبعدها .. حتى كان صلح الحديبية الذى عقدت بموجبه هدنة بين الفريقين ، وانقسمت القبائل الى معسكرين ، منها من حالف قريشا كبنى بكر .. ومنها من حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل خزاعة .

ويعصر فضالة جبينه ليتذكر نص المعاهدة التى عقدت بين الفريقين والتى كان لا يشك لحظة هو وكل من سمع بها يومئذ فى أنها كانت نصرا لقريش على محمد ! .. كيف لا يكون ذلك وانه ليتذكر منها هذه العبارة (انه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم .. ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه) وقال بنو بكر يومئذ لمحمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ (ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها) ؟

ولكن الذى لا يدرى فضالة له جوابا هو : كيف انقلب ذلك النصر الى هزيمة نكراء .. ربما لن تقوم بعدها لقريش قائمة ؟

ولو تساءل فضالة عن سر ذلك واهتدى الى الجواب الصحيح لعلم أن الحق هو الذى ينتصر دائما ، وأهله هم الفائزون .. وسنة الله تعالى أن يجعل لكل شىء سببا ، فما السبب الذى دفع محمدا وأصحابه الى فتح مكه ؟؟ ..

سؤال لم يحتج فضالة الى كبير عناء كى يجيب عليه .. فهو لا يزال يذكر يوم أن غدرت بنو بكر ــ حلفاء قريش ــ بقبيلة خزاعة ــ حلفاء محمد ــ فحازوهم الى الحرم ، وأعملوا فيهم السيوف ، ونقضوا العهد والميثاق .. فانطلق عمرو بن سالم الأنصارى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فأنشده قائلا :

يا رب انى ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيوتنا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا	فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا ..

فأجابه منقذ الانسانية : نصرت يا عمرو بن سالم ..

ثم عرض لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه عنان من السماء فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب ..

لم يكن فضالة بن عمير يذكر كل ذلك ، فانه لا يحيط علما الا ببعضه ، ومعظمه انما كان يجرى فى معسكر المسلمين .. والذى يذكره جيدا هو أن مكة الآن فى حوزة المسلمين ، وأن الأمر بالنسبة لقريش وحلفائها جد خطير .. رغم ما يبدو من امارات السلام والأمان ..

ويضع فضالة رأسه بين يديه ، وقد اشتد أسفه ، وتقطبت أساريره ، ويستمر شريط الأحداث يمر فى مخيلته فلا يزيده الا نكدا .. ويرنّ فى أعماق نفسه صوت أبى سفيان حين دخل مكة صارخا بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فتصيح فى وجهه امرأة : قبحت من طليعة قوم ! .. ويقول آخرون : قاتلك الله .. وما تغنى عنا دارك ؟! ولكن أبا سفيان لا يعيرهم بالا ويستمر منذرا : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو

آمن . ويتفرق الناس الى دورهم والى المســـجد ، ويجد فضالة نفسه مندفعا نحو أهله وذويه يغلق عليهم باب منزله ، وهو يتميز غضبا ..

وهنا ينتفض فضالة بن عمير من مقعده ، وقد مسه حر الهاجرة .. ويسمع وقع أقدام على مقربة منه ، فيرفع طرفه ليرى كتيبة من جنود المسلمين تطوف فى أنحاء مكة آمنين ، فترتسم على محياه ابتسامة صفراء .. ويعقد النية على الانتقام .. فلا بد من تنفيذ الخطة التى رسمها فى ذهنه من قبل ، وما عليه الا أن يتحين الفرصة ، فان أتيحت له ، فليستل خنجره ، وليغمده فى مقتل من ذلك الرجل الذى سبب له ولقريش كل هذه الأزمات .. أما ما يعقب ذلك فلن يكون ذا بال .. فانه حينما يهرع المسلمون للقبض عليه ، يكون قد فرّ بنفسه واحتمى برجال من قريش ، وينتهى الأمر اما باثارة الحرب والقتال أو بالمفاوضة والصلح ، وبعد ذلك يهون أمر الاسلام ، وتتألب القبائل عليه كما تألبت من قبل فى موقعة الأحزاب ، ويسهل الاجهاز عليه .

وينهض فضالة من مكانه ملتفتا عن يمينه ويســــاره مخافة أن يكون أحد يرقبه أو يســمع صوت تفكيره .. ويتوجه تلقـــاء الكعبة .. ولا يخطو خطوات حتى يلمح الناس مجتمعين حول الكعبة ، ينبعث من بينهم صوت يقول :

يا معشر قريش .. ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء .. الناس من آدم وآدم من تراب ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شـــعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) .

يسمع فضالة هذا فينجذب اليه ، ثم لا يلبث أن يقول فى نفسه : هذا ما سحر به محمد عقول الناس .. ويتابع الصوت قائلا : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ فيقولون : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم . فيقول : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ويضيق صدر فضالة حرجا رغم ما يحسه فى نفسه من دواعى السكينة .. ويتساءل فى نفسه : هل بلغ الأمر بقريش من المهانة حتى يعفو عنها رجل واحد ؟ .. ثم من هو هذا الرجل ؟ .. أليس هو الذى آذته وعذبته وأخرجته وأصـحابه .. ؟ آه .. لم يعد لقريش بعد اليوم سبيل الى هؤلاء المسلمين .

ويكاد الدم ينفجر من أنف فضالة حين يشاهد بلالا يعتلى جدار الكعبة يرفع عقيرته بالأذان مرددا كلمات لم تألف قريش سماعها من قبل .. وكأنها المطارق تنزل على رؤوسهم رغم عذوبة الصوت الذى يرددها ، وجمال وقعه ونبراته .. حتى يقول عتاب بن أسيد أحد سادات قريش : لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه .. ويقول الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته .. ويلتفت أبو سفيان حوله ثم يقول هامسا : لا أقول شيئا .. لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى !

وينظر الثلاثة فجأة الى حيث يخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : لقد علمت الذى قلتم . ويخبرهم بما قالوا . فيقول الحارث وعتاب وقد انفرجت أساريرهما وزال عنهما أثر المباغتة : نشهد انك رسول الله . ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك .

يعلم فضالة بن عمير ما كان من أمر هؤلاء الثلاثة ، فيعجب ويراجع نفسه فيما هو مقدم عليه ، ويتردد قليلا ، ثم يندفع بكليته الى مكان ما ، حيث يجد الفرصــــة متاحة له لتنفيذ ما بيته .. فها هو ذا محمد بن عبد الله يبدو منفردا ، وقد انفرج عنـــه الناس

قافلين ، والمسلمون بين طائف وذاكر وساجد ، والأمر لا يكلف الا الاقدام .. وطعنة أو طعنات .. وينتهى كل شىء .. وان فضالة ليتقدم بخطوات مضطربة .. وقد أخذت أوصاله ترتجف وعيناه تلمعان كالشرر ، والجريمة ماثلة فى مخيلته وتوشك أن تقترفها يداه .. واذا بالرحمة المهداه وقد أشرق وجهه وافترت شفتاه ، يلتفت اليه قائلا :

— أفضالة ؟!

فلا يجد فضالة مفرا من أن يجيب :

— نعم ، فضالة يا رسول الله .

— ماذا كنت تحدث به نفسك ؟

ويرتبك فضالة ، ويشيع الاضطراب فى نبراته ثم يقول :

— لا شىء .. كنت أذكر الله !

فيضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، والرفق باد فى محياه ويقول :

— استغفر الله ..

ثم يضع يده على صدر فضالة ، فيسكن قلبه ، وتطمئن نفسه ، ويذهب عنه الاضطراب ، كأن دفقة من برد وسلام سرت الى قلبه وتخللت أعصابه ، فزالت وساوسه ، وتبخر غيظه ، وانقلب كله رضا وسكينة .. واذا به تجيش نفسه فينطلق لسانه قائلا : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله .. وتبتل عيناه الدموع .. ثم يذهب يحدث الناس . ويقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب الىّ منه . وانه ليعجب كل العجب من أمره ، كيف تحول فى لحظة من عدو الى نصير ، ومن مبغض الى محب ، ومن كافر بالله ورسوله الى مؤمن ايمانا لا يساوره الشك .. لقد صدق العباس حين قال لأبى سفيان يوم الفتح : انها النبوة ..

ويسرى فى نفس فضالة شعور بالندم على ما فات من عمره ، وهو بين القيان والدنان ، لا يعرف من الدنيا الا اللهو والعبث وعبادة الأوثان . على أنه لا تزال فى العمر بقية ، لو صلحت صلح العمر كله ، ويفكر فضالة فى تلك المرأة التى كان يتحدث اليها قبل اسلامه ، فيرثى لها ويرجو لها الهداية ، ويحمد الله أن جعل له من أمره رشدا وأنقذه من هلاك محقق .. ثم يقصد أن يمر عليها .. ليضع حدا فاصلا فى علاقته بها ، ولعله يكون لها فى حاله عبرة ، فتقلع هى الاخرى عن حياة الجاهلية وتبذلها الرخيص .

وما أن يقع نظرها عليه حتى تناديه قائلة : هلم الى الحديث .. فيقول فضالة : يأبى عليك الله والاسلام . فتقول : ويحك يا فضالة .. ماذا دهاك ؟! أرغبت عنا ؟ فلا يزيد فضالة على قولته : يأبى عليك الله والاسلام . ثم يدعها وينبعث قائلا :

قالت هلم الى الحديث فقلت لا   يأبى عليك الله والاسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله   بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيننا   والشرك يغشى وجهه الاظلام

الفتاوى

يسر المجلة ولجنــــة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أســــئلة القراء وتجيب عنهــــا ..

الصلاة خلف المذياع

جاءتنا الأسئلة الآتية من سائل بالكويت :

السؤال الأول : هل يجوز لشخص أن يصلى جماعة خلف إمام يسمعه من المذياع ؟

والجواب : لا يجوز للمسلم أن يأتم بامام يسمعه من المذياع لان هذه الجماعة فقدت شرط صحتها وهو ألا يحول بين الامام والمأموم حائل معتبر . والحائل هنا موجود كما نعرف .

صلاة العيد منفردا

والسؤال الثانى : هل يجوز لشخص أن يصلى صلاة العيد بمفرده اذا لم يستطع حضورها فى المسجد ؟

والجواب : نعم . يجوز للمسلم أن يصلى صلاة العيد منفردا وفى جماعة ، ولا بأس عليه فى ذلك ، إلا انه يحرم أجر الجماعة وثوابها .

كيفية صلاة الجنازة

والسؤال الثالث : وهو السؤال عن كيفية صلاة الجنازة ؟

والجواب : صلاة الجنازة يشترط فيها ما يشترط لغيرها من الطهارة واستقبال القبلة الخ ويؤديها الانسان واقفا ، وهى تكبيرات أربع . فينوى صلاة الجنازة على من حضر أو من حضرت من أموات المسلمين ، ويكبر التكبيرة الأولى ، ثم يقرأ الفاتحة وسورة صغيرة أو آية إن تيسر ، ثم يكبر التكبيرة الثانية ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم يكبر التكبيرة الثالثة ، ويدعو للميت بما يحضره من الدعاء المأثور وإلا فبأى دعاء . ثم يكبر التكبيرة الرابعة . ثم يقول : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده . ثم يسلم .

واذا كان مأموما فلا يكبر الا بعد أن يكبر أمامه فى كل التكبيرات .

ويسأل أيضا عن **كيفية صلاة العيد**

والجواب : ان مصلى صلاة العيد ينوى الصلاة ركعتين سنة عيد الفطر أو الأضحى ويكبر تكبيرة الاحرام ، ثم يكبر سبع تكبيرات ، بين التكبيرة والأخرى يسكت بمقدار تسبيحة أو يسبح ان شاء ، وبعد الانتهاء من التكبيرات يقرأ الفاتحة وسورة صغيرة ، ويتم أركان الركعة الأولى من الركوع والقيام منه والسجود ، ثم يقوم للركعة الثانية مكبرا خمس تكبيرات غير تكبيرة القيــام ، يسكت بمقدار تسبيحة بين التكبيرة والتكبيرة أو يسبح إن شــاء ، ثم يقرأ الفــاتحة وسورة ويتم الركعة الثانية بركوعها وسجودها ثم يجلس للتحيات ويسلم ، فاذا كان فى جماعة فيكون تابعــا للامام فى كل شىء ، ومن فاته تكبير مع الامام فى الركعة الأولى أو الركعة الثانية فليس عليه أن يكبر ، بل يتابع امامه واذا فاتته الركعة الأولى كلها كمل صــلاته بعد سلام الامام فيأتى بالركعة الثانية ويكبر فيها خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام .

مع العلم بأن هذه التكبيرات ليست بواجبة ولا بسنة مؤكدة . وانما يسميها الفقهاء هيئة وتركها لا يضر ، ولذلك من فاته شيء منها مع إمامه لا يعيد الفائت ، أى اذا نويت الصلاة ووجدت الامام قد انتهى منها كلها أو بعضها فلا تأتى بها بل تتابعه والصلاة صحيحة .

التقليد والاجتهـــاد

السؤال : أنا مسلم وأقوم بأداء الفرائض شريعتى هى كتاب الله ومنهاجى هو سنة رسوله وانه رغم تقديرى لأئمة المذاهب الأربعة وعرفانى بفضل علمهم واستنباطاتهم واجتهادهم لصالح الناس والدين ، إلا أننى تراودنى فكرة فى أن أعبد الله سبحانه وتعالى وأقيم مناســك الدين على غير مذهب من المذاهب الأربعة وأن يكون نبراسى الكتاب ثم من بعده حديث الرسول مع أننى أؤمن وأعلم تماما أن الأئمة الأربعة مـا خرج واحد منهم فى اجتهاده عن الكتــاب والسنة . وأنه مهما تثقف الانسان منا وخصوصا أمثالى فى هذا الزمان فانه — وأنا الأول — لن يصل الى أقل تلميـذ من تلامذتهم .

محمد سليمان — الصالحية . مصر

الجواب : المسلم غير ملزم أصلا بتقليد هؤلاء الأئمة الكرام ، وهو اذا استطاع أن يجتهد لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة فانه يحرم عليه التقـليد . ولكن ما دام لا يستطيع فعليه أن يأخذ الأحكام عن طريق العلماء الخبراء بها الذين وصلت الينا أقوالهم صحيحة كهؤلاء الأئمة . والشأن فى ذلك كشأنه فى كل علم أو فن لا يعرفه الانسان فيرجع فيه للعلماء به الخبيرين بشأنه ..

فى الرضاع

السؤال : أنا شاب بلغت من العمر ما يزيد عن عشرين عاما ولى ابنة عم تصغرنى ثمـانى سنوات وقد رضعت من والدتى على أخى الأصغر الذى فى عمرها أكثر من عشر مرات مشبعات .

— فهل يجوز لى أن أتزوج منها ما دامت لم ترضع على أنا ؟ أم هى حـرام . واذا كانت حراما على فهل يجوز لأحد اخوتى الصغار التزوج منها . وهل يجوز لى أن أتزوج أحد اخواتها ؟ رجائى الافادة — وشكرا لفضيلتكم .

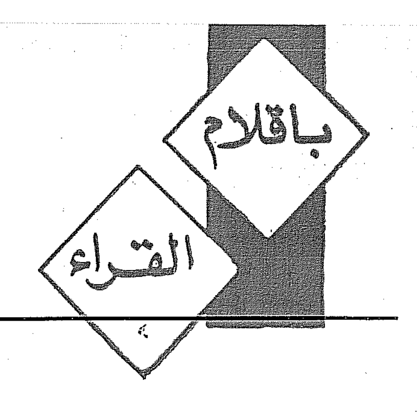
الجواب : ابنة عمك هذه يحرم عليك وعلى إخوتك جميعا التزوج بها ، لأنها اجتمعت معكم على الرضاع من ثدى واحد فصارت أختكم فى الرضاع ، على انه يجوز لك أو لأحد إخوتك التزوج باحدى أخواتها التى لم ترضع من والدتك .

فى الطلاق

السؤال : طلبت من زوجتى أن تذهب معى لزيارة أحد معارفنا ورفضت وتطور الأمر بينى وبينها الى حد أن جعلنى أخرج عن طورى فأقسمت يمينا بالطلاق هذا نصه : (على الطلاق منك بالثلاثة على أربع مذاهب الاسلام أن لا آخذك الى زيارة أحد بعد الآن) . وأنا لا أقصـد وقتئذ الطلاق وانما أريد التهديد . وزوجتى لا تزال موجودة فى منزلى . وخرجت معى مرتين الى السوق وليس للزيارة . أرجو من فضيلتكم التكرم بافادتى عن حكم الشرع فى هذا اليمين ولكم الشكر .

ع . ل

الجواب : من حلف على فعل شيء أو تركه لا يقع به الطلاق . واليمين المذكورة من قبيـل الطلاق المعلق ويقع عند حدوث المعلق عليه اذا قصده ، واذا لم يقصـد الطلاق بل يقصد حمل نفسه على عدم أخذهـا للزيارة فلا يقع طلاقه .. وعلى مثل هذا السؤال أجاب أيضا المرحـوم الشيخ شلتوت فى فتاويه وعليه الفتوى فى المحاكم بمصر . فقال : (عــلى الطلاق) أو (يلزمنى الطلاق) لغو من الكلام لا يقع به شيء وأن الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه ، والرجل لا يريد الطلاق ولا يقصده وانما يريد التهديد والتخويف كذلك لا يقع به شيء . والله أعلم .



يعبـــرون فيـــه عن أفـــكارهم
دون أن تلتـــزم المجـــلة بآرائهم

كذبة نيسان

كتب إلينا السيد مجيد حميد الشامر عن (كذبة ابريل) كلمة نقتطف منها ما يأتى :

عادة لا ندرى متى بدأت ؟! وكيف نشأت ؟! ولماذا اقترنت بشهر نيسان « ابريل » ؟! فما أن يحل هذا الشـــهر حتى ينتشر الأطفال والصـــبيان فى الشوارع ، يكذبون على الناس ، بالقاء بعض الأشياء على قارعة الطريق ، كالمنديل مثلا ، وما أن يمر أحد فى الشـــارع ويلتقط ذلك المنديل ، أو يمد يده لالتقـــاطه حتى يتجمع حوله هؤلاء الأطفال والصـــبية يضحكون ويقهقهون بأصوات صاخبة .

ويكذب الأصدقاء على أصدقائهم فيوقعونهم فى مشكلات ومشكلات ، أو يتصـــل البعض هاتفيا بأصدقائه ويكذب عليهم فيحرج مواقفهم بحجة ايجاد مفاجآت مضحكة .

والملاحظ أن هذه العادة محورها الكذب ، كأنما الكذب مباح فى نيســـان ومحرم فى غيره من الأشهر ، وهذه العادة ان دلت على شىء فانما تدل عـــلى التحلل من لوازم الدين وضوابط الشريعة المقدسة .

ولو بحثنا عن منشأ هذه العادة ومنبعها ، لوجدنا أن السبب فى انتشار أمثال هذه العـــادات هو الغزو الفكرى الاستعمارى الذى اجتـــاح العـــالم الاسلامى ، فاستعمر القـــلوب ، وأحدث خبثا فى النفوس ، وانحرافـــا فى السلوك ، وانحطاطا فى الأخلاق ، وانقلابا فى المقاييس . الى أن يقول :

قال سبحانه وتعالى : (انما يفترى الكذب على الذين لا يؤمنون) .

وجاء فى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم : (ويل للذى يحدث ويكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له) .

الاسلام يوقظ المشاعر الخيرة

وتحت هذا العنوان كتب إلينا السيد عبد الخالق عبد الرحمن من بغـــداد كلمة نقتطف منها : ــ

ان كثيرا من المشاعر والعادات تحتاج الى ايقاظ وتنمية فى ضمير الأفراد والجماعات .

ولقد بدأ الاسلام فى بناء المجتمع فى ضمائر الناس ووجداناتهم ، فقد غرس المحبة فى أعماق

الروح وذكر الناس بنشـأتهم الأولى من نفس واحدة ، فأيقظ فى نفوسهم صـلة المودة والقربى وذكرهم باخوانهم فى الله ، وذكرهم بنشوئهم ومصيرهم ، حتى اذا ما رقت جوانحهم بتلك المشاعر الجميلة المحببة كانوا أقرب الى التعاون والتآزر والاخاء .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) .

وتحت ظلال الحب والرحمة دعا الناس الى الايثار والى التضحية وبذل النفس فى سبيل اسعاد الآخرين فالمجتمع الانسـانى خليط من الموسرين والمحرومين فـاذا لم يؤثر الموسرون على أنفسهم ، واذا لم يضحوا بما يملكون انعدم التكافل وانمحى التعاون .

لقد رسم القرآن الكريم صورة جميلة للايثار فى الرقة والانعطاف لآل بيت محمد عليه السلام .

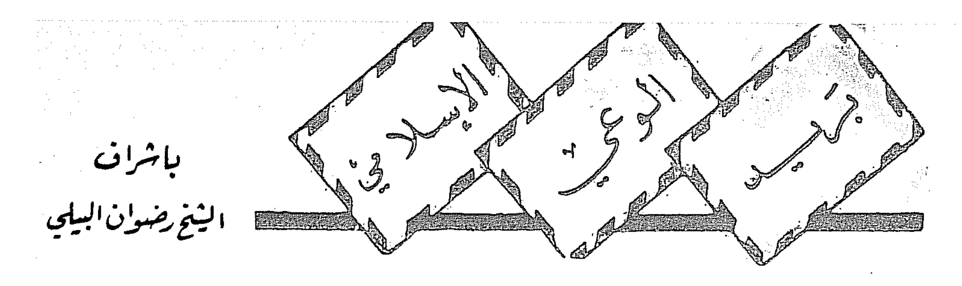
(يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) .

لقد أوجد الاسلام تضامنا بين الفرد والجماعة لغرض تحقيق الخير العام للجميع فأعطى الفرد حرياته الفطرية وجعل له حق التمتـع بها بشرط ألا يخل بحريات الآخرين أو يعتدى على حق من حقوقهم ، وضمن له كل ما من شأنه حفظ كرامة الانسانية ، وكلف كل فرد بالحفاظ على حيـاته وحياة غيره من الأفراد والجماعات وجعله مسؤولا أمام أحكم الحاكمين الله سبحانه وتعالى ، والأمة التى تسير على هذا الهدى الاسلامى هى أمة مكلفة بحفظ حياة الفرد وعرضه وماله وحرياته ، وتمكينه من العمل الشريف ومساعدته على تنمية مواهبه وقابلياته ، وهكذا نرى أن الاسلام قـد حرر الفرد من قيود الاستعباد والاستغلال وصان حريته والزمه بالصالح العام ، كما حرر الجماعة من تسلط الفرد واستبداده وبذلك يلتقى الفرد بالجماعة وتمتزج المصالح المشتركة ويقوى النشاط لخير المجتمع بأسره ويكون التواصى بالحق والصبر كما تلتقى مسؤولية الفرد بمسؤولية الجماعة فى نطاق التكليف الالهى بما فرضه الله سبحانه وتعالى من شعائر وواجبات وهكذا نرى انسجام الفردية مع الجماعية ويكون النشاط متجها للوصول الى غاية واحدة وهدف مشترك .

إلى هاويات الملابس القصيرة

والأستاذ محمود فايد المدرس بطرابلس ليبيـا يوجه هـذا النداء إليهن فيقول :

أفـوق الركبتين تشمرينـــا ؟ ... بربـك أى نهـر تعبرينـــا ؟
وما الخلخال حين الساق صارت ... تطوقها عيـــون الناظرينا ؟
جعلت ملابسى صوفـا ، طـوالا ... أخـاف البرد يجعلنى طعينـــا
وأنت هنيئـة فى شـبه عـرى ... بجـو بـارد لا تشعرينـــا
عيـون المعجبين لديـك جمـر ... ستشعل ان أردت هوى دفينـا
فتـاة الجيل : مثلك لا يجـارى ... سفيهـات يبعن تقى ودينـــا
فبـالتقصير طـالتنا الأعـــادى ... وباللذات ضيعنـــا العرينـــا
أبنت (خديجة) كونى حيـاء ... كأمـك تنجبى جيـــلا رزينـــا
خـذيها قـدوة ننهض جميعـا ... وتبق ديارنـا حصـنا حصينـــا
ولا يشغلك قشر عن لبـــاب ... ولا تضللك « صوفياهم ولينـا »
ملاك حضارة الدنيـــا تفـــاق ... واخـلاص يزكى العـاملينـــا
ودين يكسب الانســـان نبـلا ... فيأبى أن يضـــل وان يهونـــا
وعـلم نـافع يبنى شعوبـــا ... يجنبهـا سـموم الماكرينـــا



باشراف
الشيخ رضوان البيلي

الذبيح الثانى

قرأت فى هذا الباب من العـدد التاسع والأربعين تحت عنوان تزوير التـاريخ اجابة عن الرسالة التى بعث بها طالب من الكويت يستفسر فيها عن الذبيح المفدى من ولدى ابراهيم الخليل عليهم السلام ، وقد كان الرد مقنعا شـافيا ، وأحب أن أضيف الى ما ذكرتم من الأدلة على أن الذبيح هو اسماعيل دليلين آخرين من الكتاب والسنة .

الأول الآية الكريمة (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) ، فكيف يبشر الله سارة زوج ابراهيم بأنها ستلد منه اسحاق وأن اسحاق سيكبر حتى ينجب يعقوب ، ثم يأمر الله سبحانه ابراهيم بأن يذبح اسحاق وهو غلام بلغ مبلغ السعى لم يتزوج بعد .

الثانى : قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أنا ابن الذبيحين) ومعلوم أن الأب الأعلى له هو اسماعيل فهو الذبيح الأول ، والأب المباشر هو عبد الله بن عبـد المطلب وهو الذبيح الثانى .

سيد عبد الرحمن الباقر — الخرطوم

شكرا للأخ على رسالته . الا أن الحديث الذى استدل به ضعيف لم يوثقه رواة الحديث ، والواقعة التى أشار اليها فى رسالته من أن عبد الله تدم قربانا فى نذر نذره أبوه عبد المطلب ، وان القدر الالهى الأعلى شاء خلاصه من الذبح كما جرى مع أبيه اسماعيل .. هذه الواقعة موضع الشك عند المحققين . وقد نقلها المؤرخون عن شيخهم ابن اسحاق وعنه أخذها ابن هشـام فى كتابه السيرة ، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ، وابن اسحاق المنقول عنه يصدر روايته بقوله (فيما يزعمون) والزعم مطية الكذب .

على أن تسجيل هذه القصة يبين أن اختيار عبد الله للذبح لم يكن بوحى ولا رؤيا صادقة ، وأن خلاصه من الذبح لم يكن بفداء من السماء ، بل كان الاختيار والفداء نتيجة لعملية أشـبه بالقمار على يد كاهن من الكهان .

والذى نطمئن اليه أن هذه القصة من وضع القصاص ومن الاضافات التى أضيفت للسـيرة النبوية .

وقد ذكر الشيخ عبد الجليل عيسى فى تفسيره « تيسير التفسير » الحجة التى ذكرها الأخ فى رسالته .

الحمس

ويسأل الأخ أبو ياسر من صيدا بلبنان عن طائفة الحمس ومعتقداتهم وموطنهم ..

جاء فى صحيح البخارى فى باب الوقوف بعرفة هاتان الروايتان :

عن عمرو : سمع محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال : أضللت بعيرا فذهبت أطلبه يوم عرفة ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة ، فقلت : هذا والله من الحمس ، فما شأنه ههنا .

وعن هشام بن عروة : قال عروة : كان الناس يطوفون فى الجاهلية عراة الا الحمس ، والحمس قريش وما ولدت ، وكانت الحمس يحتسبون على الناس ، يعطى الرجل الرجل الثياب

يطوف فيها ، وتعطى المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا ، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ، وتفيض الحمس من جمع ، قال : فأخبرنى عن عائشة رضى الله عنها أن هذه الآية نزلت فى الحمس (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قال : كانوا يفيضون من جمع فدفعوا الى عرفات .

والحمس جمع مفرده أحمس وهو المتشدد المتصلب فى دينه ، وأطلق هذا الاسم على قريش ومن كان يتقيد بمنهجها الدينى من القبائل العربية ، ويذكر المؤرخون أن موجة من الأفكار الدينية ذات الطابع الحماسى ظهرت فى قريش قبيل ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ففرضت على نفسها قيودا وتكاليف شاقة فى العبادة منها :

أنهم لا يأكلون الا الأقط — وهو ما يتخذ من مخيض الغنم — ولا يطبخون بالسمن ولا يأكلون لحما ولا يضربون بيتا من الشعر أو الجلد اذا أهلوا بحج أو عمرة ، ولا يعظمون شيئا من الحل كما يعظمون الحرم ، فلا يقفون بعرفات .

ومنها أنهم حرموا على الوافدين من أهل الحل على البيت الحرام أن يأكلوا ما حملوه معهم من الطعام عند البيت ، ومنعوهم من أن يطوفوا بالثياب التى قدموا بها فان لم يجد الوافد غيرها طاف بالبيت عريانا فان تحرج منهم أحد فطاف بثيابه ألقاها اذا فرغ من طوافه ولم ينتفع بها ، وكانت العرب تسمى هذه الثياب لقى .

يقول ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية : (فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم) فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سنن حجه (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) يعنى قريشا والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج الى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة أو حرموا ما جاء به من الحل من الطعام : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) فوضع الله تعالى أمر الحمس ، وما كانت قريش ابتدعت منه على الناس بالاسلام حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

أعداء الرسل

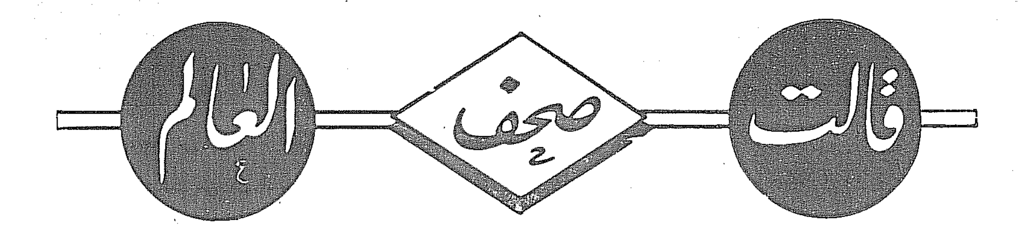
الحياة فى الجزيرة العربية لم تزدهر الا من فترة قصيرة ، أما قبل ذلك فقد كانت قفرا والمعيشة فيها قاسية لا يتحملها الا العرب سكانها الأصليون . فما الذى حمل اليهود فى الجاهلية وهم غرباء عنها — على أن يتطلعوا اليها ، ويحطوا رحالهم فى المدينة ويتجمعوا حولها ؟

فوزان الأشهل — الطائف

✱ ... ✱ ... ✱

بشرت التوراة بمبعث نبى عربى ، وكشفت عن صفاته وزمانه ، وعرف ذلك أحبار اليهود وشاع بين عامتهم ، ولما أفسدوا فى الأرض وسلط الله عليهم عبادا أولى بأس شديد مزقوهم كل ممزق . تطلعت نفوس اليهود الى السبق لاستقبال هذا النبى والاستظلال بعدله ، ففروا الى الجزيرة ، وتجمعوا فى يثرب وحولها انتظارا لهذا النبى ، وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الناس الى عبادة الله ، أصم بنو اسرائيل آذانهم وأعرضوا عنه وكفروا به بغيا وحسدا .

فاليهود أبدا طلاب منفعة وأصحاب مغنم ، ومن طبيعتهم أنهم يحبون دائما أن يستأثروا بكل صيد وربح ، فهجرتهم الى الجزيرة كانت سعيا وراء هذا القصد ، فلما ظهر النبى المنتظر ، ولم يحقق لهم هذه المنفعة التى حرصوا عليها نفروا منه وكذبوه ، ووقفوا هذا الموقف العنيد ، فأمر الله رسوله والمؤمنين أن يجلوهم عن ديارهم ويطهروا دار الاسلام منهم .



متى نختلف

تحت هذا العنوان كتبت (أخبار اليوم) تقول :

اليوم ، ليس هناك يسار عربى ..

ولا يمين عربى ..

فقط ، هناك عرب .. وهناك اسرائيليون ..

واليوم ، ليس هناك شكل لدولة فلسطين جديدة ... ولا شكل لدولة قائمة ...

فقط ، هناك أرض عربية .. وأرض اسرائيلية ..

واليوم ، ليس هناك حل عسكرى .. ولا حل سياسى ..

فقط ، هناك نصر .. وهزيمة ..

أقول هذا الكلام لأن بعض الصحف والدوائر العربية لا تزال تنساق وراء مناقشات حول اليسار العربى واليمين العربى ، ولا تزال تفتح أبواب التصور لأشكال دولة فلسطينية جديدة ، ولا تزال تفرق بين من تسميهم متطرفين ، ومن تسميهم معتدلين .. و .. و .. وكل هذه مجالات للنقاش تنتهى بخلاف فى الآراء وقد ينتهى الخلاف فى الرأى الى خلاف فى المواقف والتصرفات وقد ترتفع هذه الخلافات الى أن تصل الى قوى شعبية تتولى مسئوليات كبيرة فى مواجهة العدو .

وهذا خطر .. خطر كبير تحملنا نتائجه من قبل أن تقوم اسرائيل ومن بعد أن قامت اسرائيل .. وهو خطر أكبر اذا تعرضنا له فى المرحلة التى نمر بها .. مرحلة رد الهزيمة .. والمرحلة التى نمر بها تحدد واقعا تحمل مسئوليته كل الاتجاهات المذهبية والفكرية والاجتماعية ، هذا الواقع هو :

● أرض عربية محتلة .. وشعب عربى بعيد عن أرضه .. والهدف الوحيد الذى يحدده هذا الواقع هو :

● تحرير الأرض المحتلة .. اعادة الشعب العربى الى أرضه ..

فاذا كان هذا هو الهدف الوحيد فلا يمكن أن يكون هناك تعارض حوله بين رأى ورأى ولا حتى تعارض بين وسائل تحقيق هذا الهدف .. ولا تعارض بين اليسار واليمين ، ولا تعارض بين الذين يعملون فى ميدان الحرب ، والذين يعملون فى ميدان السياسة ، ولا تعارض بين الذين يحاولون اقناع الولايات المتحدة ، والذين يؤمنون بصداقة الاتحاد السوفيتى .. والمعارك العنيفة التى تقع كل يوم وندمر خلالها قوات العدو ، لا تتعارض مع الجهد الكبير الذى يبذل فى الاتصالات الدبلوماسية خلال اجتماعات الدول الأربع الكبرى .. الهدف واحد محدد ..

والمشكلة ليست مشكلة رأى أو اتجاه ، أو نظام حكم ، أو طبقة .. انها مشكلة أرض .. الأرض هى الهدف ..

ومن لا يتحرك معنا فى نفس الهدف ليس منا .. وبعدها .. بعد استعادة الأرض .. نتكلم ونتناقش ، ونختلف .. وننقسم ..

من أسلحة الصهيونية :
مدرسة الخادمات الفاتنات !

وجاء فى جريدة (أخبار الكويت) تحت هذا العنوان :

انشئت فى تل أبيب مدرسة جديدة اطلقوا عليها اسم (مدرسة الرعاية المنزلية) .. وهذه المدرسة مقصورة على الفتيات اللواتى يردن أن يعملن خادمات فى المنازل .

وتشترط هذه المدرسة فى التلميذة أن تكون جميلة وجذابة وممشوقة القوام .

وقد زار هذه المدرسة بعض مندوبى الصحف الامريكية وتحدثوا الى تلميذاتها وبعض المدرسين والمدرسات .. وعجز أحد هؤلاء الصحفيين عن كبت غريزة حب الاستطلاع التى تسيطر على كل من يعمل فى مهنة البحث عن المتاعب .. فاذا به يكتشف أن التلميذات بعد تخرجهن لن يعملن فى اسرائيل .. بل ستصدرهن اسرائيل الى الخارج ليعملن فى بيوت السياسيين ورجال الاقتصاد وغيرهم ممن يهم اسرائيل أن تتجسس عليهم .. اذ المعروف أن أقرب النـــاس معرفة الى أسرار البيوت هم الخدم ...

الشقيقة المسلمة
والجارة العزيزة

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة (الهدف) الكويتية تقول :

ماذا تعمل الشقيقة المسلمة .. والجارة العزيزة اليوم ؟!

نقول ماذا تعمل ؟

وما أهدافها من وراء كل ذلك ؟!

استعراض للعضلات العسكرية فى مياه شط العرب !

والمدافع على الحدود تنتظر الاشارة .

والمستشفيات أخليت وأصبحت تترقب الأفواج القادمة !

ما هذا كله .. وماذا وراءه ؟

أيمكن أن يحدث هذا من شقيقة مسلمة ضد شقيقة مسلمة أخرى ؟

أيمكن أن يجرى ذلك والمسجد الأقصى يئن تحت وطأة الاسرائيليين ؟

لقد كنا ننتظر من الشقيقة المسلمة أن توقف تدفق نفطها الى اسرائيل ..

لقد كان الأمل أن تمنع الجارة العزيزة طيران العـــدو من الهبوط بأراضيها والاســـتمتاع بأجوائها .

لقد كانت الثقة كبيرة بألا يرتفع علم اسرائيل وسط دولة تربطها بالعـــرب أقوى الروابط وأمتنها .

هكذا كانت ثقتنا وآمالنا .. ولم نكن أبدا .. ننتظر من الشقيقة المسلمة أن ترفع السلاح فى وجه شقيقة لها فى وقت تقف فيه جيوشها على خط النار ترقب العدو وتنتظر الاشارة لسحقه .

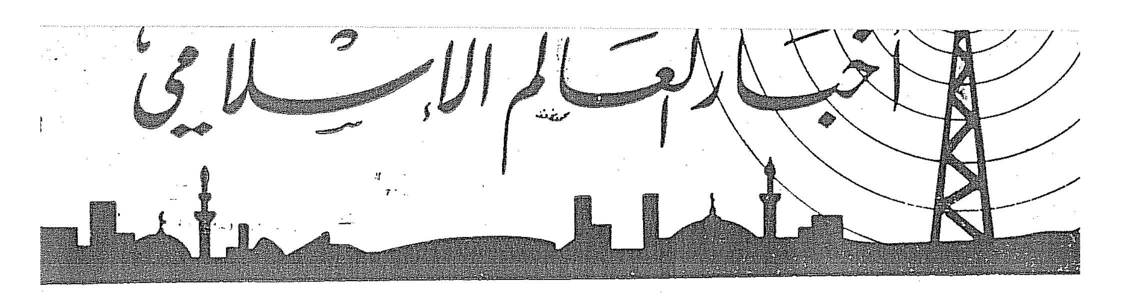
لم نكن ننتظر أن يحدث ذلك ضد العراق بحجة اتفاقية منذ اثنين وثلاثين عاما ؟

أين كانت الشقيقة المسلمة منذ عام .. بل منذ عشرين عام ؟

واذا كان صمتها استمر طويلا — ان كانت هناك ثمة مخالفات — فما الذى جعل هذا الصمت يتفجر عن أشياء وأشياء فى أحلك أيام الأمة العربية ؟

مجرد تساؤلات لا أكثر نوجهها للشقيقة المسلمة والجارة العزيزة .. ولن نقول أكثر من ذلك ..

و .. ما أصعب الصمت حينما يجب أن يكون الصراخ ..



إعداد الاستاذ : عبد المعطي بيومي

الكويت : تبرع سمو أمير البلاد المعظم بمبلغ مائة ألف دينار من ماله الخاص لصالح أسر الفدائيين الذين استشهدوا .

● افتتح سمو ولى العهد ورئيس الوزراء البنك العربى الفرنسى أثناء زيارته لفرنسا فى الشهر الماضى كتقدير عملى لموقف الرئيس ديجول من القضية العربية ورد على الحملات الصهيونية ضد الرئيس الفرنسى .

● قام الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بزيارة للعراق والقاهرة بدعوة منهما .

● قام رئيس وزراء جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ووزير خارجيتها بزيارة البلاد ، كما قام رئيس وزراء جمهورية اليمن بزيارة للكويت .

● تلقت الجهات المختصة دعوة للاشتراك فى مؤتمر السلام العالمى المزمع عقده فى بانكوك — عاصمة تايلاند فى أول سبتمبر القادم .

● عاد وفد الكويت للمؤتمر الاسلامى فى ماليزيا برياسة الشيخ عبد الرحمن الفارس وقد ألقى فى المؤتمر بحثا عن الزكاة وجواز صرفها للفدائيين أخذ به المؤتمر فى وصاياه .

● وافق مجلس الامة على تقديم مبلغ ١٥٥٠٠ دينار كويتى كمعونة الى ثمانى هيئات اسلامية بالخارج .

القاهرة : بعث الرئيس عبد الناصر رسالة الى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى ماليزيا ضمنها تمنياته الطيبة للمؤتمر وأهاب ببحث الوسائل الفعالة لطرد اسرائيل من القدس . وقد رأس الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وفد الجمهورية العربية الى المؤتمر ، وكان الوفد مؤلفا من مفتى الجمهورية وثلاثة من الشخصيات العلمية الاسلامية . وقد زار الوزير الفلبين بعد انتهاء المؤتمر .

● أبلغ يوثانت مجلس الأمن أن قرار وقف اطلاق النار الذى اتخذه المجلس بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ قد انهار وان حالة من الحرب الفعلية تسود المنطقة بعد المعارك اليومية المستمرة التى دمرت فيها القوات المصرية تحصينات العدو .

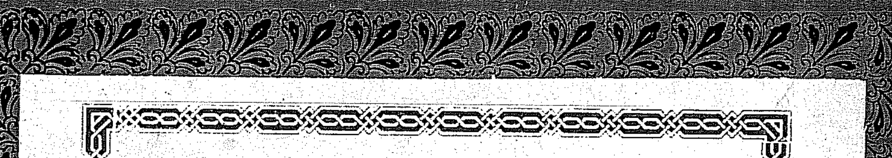
● دعا أسقف برلين الغربية مدير جامعة الأزهر لزيارة المانيا والقاء عدد من المحاضرات عن الاسلام وعلاقته بالأديان الأخرى .

● أعلنت الجمهورية أن كل اقتراح لحل قضية فلسطين وازالة آثار العدوان والمرور فى القناة مرتبط بتسوية مشكلة اللاجئين وتخييرهم بين العودة والتعويض . وأن قرار وقف اطلاق النار قرار مرتبط بقرار مجلس الأمن القاضى بالانسحاب .

السعودية : قام الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران بزيارة الجمهورية العربية المتحدة بدعوة من الفريق محمد فوزى وزير الدفاع وقد زار الأمير سلطان الخط الأمامى للجبهة المصرية وكثيرا من المنشآت العسكرية وصرح بأن العرب مصممون على استعادة الأراضى التى احتلتها اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ .

● يعقد وزير المعارف السعودى ندوات تربوية مسلسلة مع رجال التعليم والتربية فى مختلف المناطق وقد أكد معاليه فى منطقة الطائف أهمية القراءة والاطلاع لتنمية الثقافة العامة .

● وقعت الحكومة السعودية مع الكويت اتفاقا يقضى بتقوية الاتصال بين البلدين عن طريق الاتصالات اللاسلكية بين البلدين .



شخصيات فى سطور :

ابنُ الفارضْ

(٥٧٦ — ٦٣٢ هـ) (١١٨١ — ١٢٣٤ م)

* هو أبو حفص — وأبو القاسم — عمر بن أبى الحسن على بن المرشد ابن على المعروف بابن الفــارض ، ينعت أحيــانا بشرف الدين ، وسلطان العاشقين لقوله :

وملك معالى العشق ملكى وجندى الـ
معــانى ، وكــل العــاشقين رعيتى

ولد بالقــاهرة فى الرابع من ذى القعــدة سنة ٥٧٦ الموافق ٢٢ مارس سنة ١١٨١ م .

* ذكر المؤرخون فى سبب تلقيبه بابن الفــارض ، أن أبــاه كانت صناعته — أو من بين صناعته — إثبــات الفروض للنســاء على الرجال بين يدى الحكام ، وأصل آبائه من حماة بالشام . وينتسبون إلى قبيلة بنى سعد التى منها حليمة السعدية التى أرضعت الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

* كان صوفيا ورعا زاهدا وشاعرا من زعماء شعراء المتصوفة .

* له ديوان شعر مطبوع ومشهور ومتداول ، ترجمت بعض قصائده إلى كثير من اللغات الأجنبية ، ومنه التائية الكبرى التى أولها :

سقتنى حميــا الحب راحــة مقلتى
وكأسى محيــا من عن الحسن جلَّت

وتسمى هذه القصيدة ((نظم السلوك)) وهى تقارب ثمانمائة بيت على وزن واحد وقافية واحدة ، وهى قدرة لغوية وأدبية فائقة . ومنه أيضا مطولته اليائية المشهورة التى أولها :

سائق الأظعان يطوى البيد طى
منعما عرج عــلى كثبــان طى

ومنها :

لم يرق لى منزل بعد النقــا
لا ولا مستحسن من بعــد مى

ومن أشهر خمرياته الصوفية قوله :

شربنا على ذكــر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

* وتوفى ابن الفارض فى الثانى من جمــادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ الموافق ٢٣ من يناير سنة ١٢٣٤ م بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم . رحمه الله تعالى ..

العوضى الوكيل